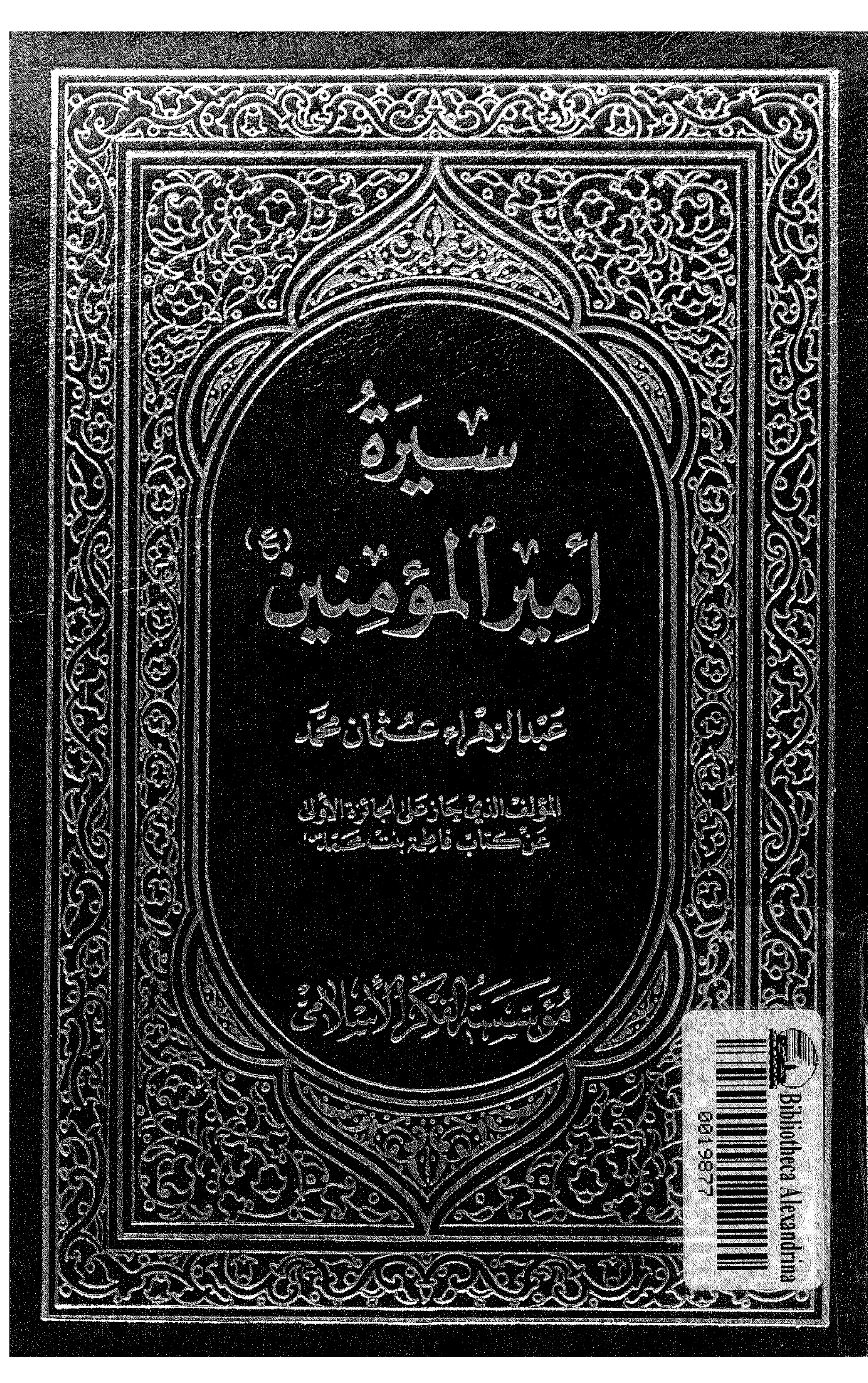
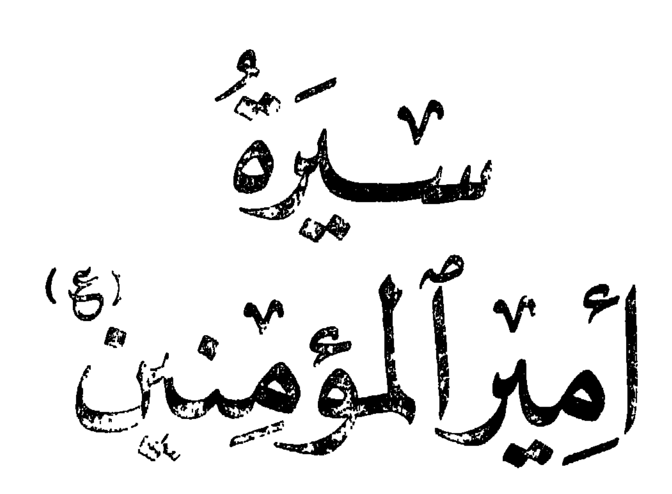

سيرة
أمير المؤمنين (ع)
عبد الزهراء عثمان محمد
المؤلف الذي حاز على الجائزة الأولى
عن كتاب فاطمة بنت محمد (ص)
مؤسسة الفكر الإسلامي



سيرة أمير المؤمنين (ع)





عبد الزهراء عثمان محمد

مؤسسة الفكر الإسلامي
للثقافة والإعلام

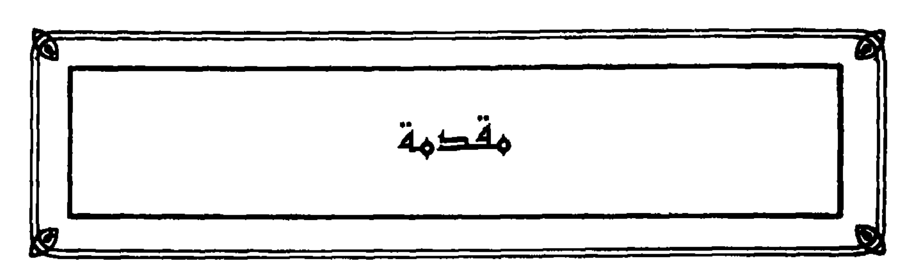
الطبعة الأولى

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م



حارة حريك - بئر العبد - خلف البنك اللبناني الفرنسي - ☎ : ٨٢١٢٧٤
ص. ب : ١٣/٥٩٥٣ شوران - بيروت - لبنان .

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمة

«ما لقي أحد في هذه الأمة ما لقيت. .»[1].

الإمام علي (ع)

لم يلاقِ، عظيم في التاريخ البشري، ما لاقاه علي بن أبي طالب (ع)، من ظلم وأثرة في حياته وبعد موته. . .

فإذا كان قد عانى الكثير في حياته، المليئة بالمآثر والأمجاد، فإن الظلم قد استبد به، فحرم من أبسط الحقوق وهي: كتابة تاريخية، بإنصاف وصدق، بعد وفاته، ولفترة طويلة.

فبعد رحيل الإمام إلى الرفيق الأعلى، أخضعت أجيال الأمة الإسلامية، لعملية مسح دماغي، ليس لها مثيل، كي تنسى علياً (ع)، ودوره الإيجابي الفعال، في دفع حركة الإسلام التاريخية، نحو العزة والمجد. . أو لتأخذه في إطار مشوه ممسوخ!!

وحسبك، بأن عشرات من السنين، قد سخرت فيها

---

(١) أنساب الأشراف / للبلاذري جـ ٢ ص ١٧٧.

المنابر ـ وهي أعظم الأجهزة التربوية والإعلامية لدى المسلمين يومذاك ـ في سب علي (ع) وتوشيه تاريخه الفذ.. حقداً على الإسلام، وثأراً لمشركي بدر..

فكانت «خطبة الجمعة» مثلاً في العهد الأموي، تفتتح بالنيل من الإمام (ع)، بكلمات يأبى التاريخ أن تسطر على صفحاته[1] وكانت تسند تلك العملية قوى، وأجهزة حكم، ورواة ومحدثون مأجورون، ومؤرخون للسلاطين، و.. و.. محاولة طمس معالم تاريخ الإمام علي (ع)..

بيد أن تاريخ الإمام علي (ع)، وإن كان تعرض لذلك اللون المخجل، والطمس والتزوير، والتجهيل، فإن أحداً، كائناً من كان، ليس بمقدوره أن يطمس معالمه الأساسية، لارتباطها العضوي بالإسلام الحنيف ومجده.. فحبل الكذب قصير.. ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله.

وهكذا، فإن الأقلام المأجورة، وتشكيلة المرتزقة، التي حاولت أن تكتب لعلي تاريخاً على هواها، ووفقاً لمصالحها، وما تملك من خلفيات ومرامي منتقصة، قد أخطأت التقدير، وجهلت أن الحق لا يمكن أن يحجب طويلاً، وأن الزبد لا بد أن يذهب جفاء...

وشعوراً منا بالمسؤولية الشرعية في توعية الأمة، وتبصيرها بحقائق دينها ووقائع تاريخها المجيد، ونفض تراب التعمية والتضليل عن حقائق أحداث المسيرة التاريخية لهذه الأمة منذ بدايات تاريخها... شعوراً منا بهذه المسؤولية العظيمة نضع هذه الدراسة

---

(١) راجع نماذج من ذلك في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ٥٦١ وما بعدها ط دار إحياء الكتب العربية ١٩٥٩.

حول سيرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ودوره في حركة الإسلام التاريخية بين أيدي المسلمين..

وللضرورة الفنية قسمت هذه الدراسة إلى أقسام ثلاثة:

سنتناول في القسم الأول منها سيرة أمير المؤمنين (ع)، في عهد رسول الله (ص)، وعهد الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً في قيادة المسلمين.

وفي القسم الثاني: ينصب البحث على دراسة حياة الإمام (ع)، أيام توليه (خلافة) المسلمين، ومواقفه البطولية النبيلة، في مجالات السياسة، والإدارة، والإقتصاد، والإجتماع، وشؤون الحرب والسلم وأمثال ذلك.

أما القسم الثالث: فيتخصص في إبراز الملامح الأساسية لشخصية أمير المؤمنين (ع) من حيث علاقته بالله تعالى، وعلاقته بالناس من حوله، وعطائه العقائدي، والعلمي، والفكري، الذي أسداه للأمة الإسلامية والناس أجمعين.

والله نسأل التسديد والتأييد، والهداية والتوفيق للعمل من أجل تكريس كل الطاقات، والإمكانات المتاحة في إطار الصراع الفكري القائم، بين أمتنا الإسلامية المجاهدة، وبين خصومها الألداء، حتى تسود شريعة الإسلام العظيم.. إنه سميع مجيب.

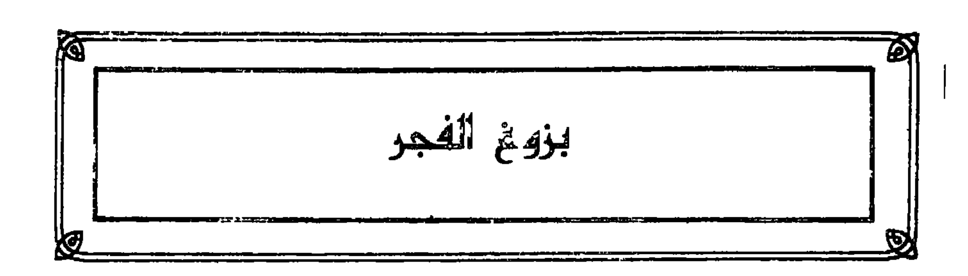
١/١/١٩٩١م — المؤلف



القسم الأول

وليد البيت العتيق





بزوغ الفجر

في يوم الجمعة، الثالث عشر من شهر رجب المبارك، وقبل بعثة محمد رسول الله (ص) باثنتي عشرة سنة، اشتد المخاض على فاطمة بنت أسد، فجاء بها أبو طالب إلى الكعبة المشرفة، وأدخلها فيها ثم قال لها إجلسي... وخرج عنها فرفعت يدي الضراعة إلى العلي الأعلى سبحانه قائلة: «ربي إني مؤمنة بك، وبما جاء من عندك من رسل وكتب وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل (ع) وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت والمولود الذي في بطني إلا ما يسرت عليّ ولادتي»[1].

ولم يمض على فاطمة غير ساعة حتى أعلنت أنها قد ولدت ذكراً، وهو أول مولود ولد في الكعبة المشرفة ولم يولد فيها بعده سواه تعظيماً له من الله سبحانه وإجلالاً[2]، وأسرع البشير إلى أبي طالب

---

(١) كشف الغمة ج ١ ـ فصل ذكر الإمام علي (ع).

(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٣ والكفاية للحافظ الكنجي الشافعي وشرح الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية لشهاب الدين السيد محمود الألوسي ص ١٥ ونور الأبصار للشبلنجي ص ٧٦ ومطالب السؤول ص ١١ لمحمد أبي طلحة الشافعي =

وأهل بيته، فأقبلوا مسرعين والبشر يعلو وجوههم . .

وتقدم من بينهم محمد[1] ص فضمه إلى صدره وحمله إلى بيت أبي طالب، حيث كان الرسول في تلك الآونة، يعيش مع خديجة، في دارهما منذ زواجه منها.

وانقدح في ذهن أبي طالب، أن يسمي وليده «علياً» وهكذا كان . .

وأقام أبو طالب وليمة، على شرف الوليد المبارك، ونحر الكثير من الأنعام[2].

وقد حضر وليمته جمع حاشد من الناس: قدموا التهاني، وعاشوا ساعات من البهجة، أبدوا فيها مشاعرهم الفياضة، وأحاسيسهم السامية، نحو عميدهم شيخ الأبطح، ووليده المبارك . .

ومرت الأيام سريعة، والوليد المبارك يتقلب بين أحضان والديه: أبي طالب، وفاطمة، وابن عمه محمد (ص)، الذي كان دائم التردد على دار عمه، التي ذاق فيها دفء المودة، وشرب من ينابيع الإخلاص والوفاء الصافية، خلال سنوات صباه وشبابه.

أجل كان محمد (ص) يتردد كثيراً على دار عمه، بالرغم من زواجه من خديجة، وعيشه معها في دار منفردة، وكان يشمل علياً بعواطفه، ويحوطه بعنايته) ـ يناغيه في يقظته، ويحمله على صدره . . ويحرك مهده عند نومه، إلى غير ذلك من مظاهر العناية والرعاية . .

= والمناقب للأمير محمد صالح الترمذي. نقلاً عن الغدير ج ٦ من ٢٢ إلى ٣٨ لعبد الحسين الأميني ط ٣ سنة ١٩٦٧ بيروت.

(١) الفصول المهمة في معرفة الأئمة / لابن الصباغ المالكي / الفصل الأول ص ١٣.

(٢) البحار ج ٣٥ ص ١٨.

في كفالة رسول الله (ص):

وبعد مضي ست سنوات على ولادة علي (ع) تعرضت قريش لأزمة اقتصادية خانقة، وقد كانت وطأتها شديدة على أبي طالب، إذ كان رجلاً ذا عيال كثيرة، وكهف يلوذ به المحتاج والفقير، بحكم مركزه الإجتماعي في مكة... أيرضى المصطفى (ص) وبنو هاشم، أن تقسو الحياة على عميدهم؟!

أقبل الرسول (ص) على عمه العباس بن عبد المطلب، وهو أثرى بني هاشم يومها، فخاطبه بقوله: «... يا عم، إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى فانطلق بنا إلى بيته لنخفف من عياله، فتأخذ أنت رجلاً واحداً، وآخذ أنا رجلاً فنكفلهما عنه..»[1].

وحظي رأي المصطفى (ص) بالتأييد والرضاء من لدن عمه العباس، فأسرعا إلى أبي طالب، وخاطباه بالأمر، فاستجاب لما عرضا قائلاً: «إذا تركتما لي عقيلاً وطالباً، فاصنعا ما شئتما..»[2].

فأخذ العباس جعفراً...

وأخذ رسول الله (ص) علياً (ع)، وكان عمره يومئذ ستة أعوام[3]، وقد قال (ص) بعد أن اختار علياً (ع): قد اخترت من

---

(١) الفصول المهمة / لابن الصباغ الفصل الأول ص ١٤ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ص ١٥١.

(٢) سيرة ابن هشام ج ١ باب ذكر أن علي بن أبي طالب أول ذكر أسلم ص ٢٨٤، وبحار الأنوار ج ٣٥ ص ٤٤ وشرح النهج ج ١ ص ١٥.

(٣) في رحاب علي / خالد محمد ص ٤٦ ط / ٢ دار الأندلس بيروت وشرح النهج ج ١ ص ١٥١.

اختاره الله لي عليكم - علياً[1].

وهكذا عاش علي (ع) منذ نعومة أظفاره في كنف محمد (ص): نشأ تحت رعايته، وشرب من ينابيع مودته وحنانه، ورباه وفقاً لما علمه ربه تعالى، ولم يفارقه منذ ذلك التاريخ، حتى لحق الرسول (ص) بربه الأعلى..

حصيلة الإعداد النبوي:

أشار الإمام علي (ع) إلى أبعاد التربية التي حظي بها من لدن الرسول (ص)، ومداها وعمقها، وذلك في خطبته المعروفة بالقاصعة، إذ جاء فيها ما نصه: «وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله، بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه وما وجد لي كذبه في قول، ولا خطلة في فعل.

«ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله، من لدن إن كان فطيماً، أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره، ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالإقتداء به».

«ولقد كان يجاور في كل سنة (بحراء) فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام، غير رسول الله - صلى الله عليه وآله - وخديجة، وأنا ثالثهما. أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة..»[2].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٥ نقلاً عن البلاذري والأصفهاني.

(٢) نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح ط ١٩٧١ ص ٣٠٠.

والذي يستقري هذا النص، بإمعان، يتجلى له أن علياً (ع) قد حظي برعاية الرسول (ص) وحدبه، وإيثاره أيام طفولته، فكان يمضغ الشيء ثم يضعه في فمه، ويضعه في حجره، ويضمه إلى صدره، ويعامله كما لو كان ولده الحبيب...

أما في صباه، وشبابه، فقد أنصب جهاد رسول الله (ص) على تكوين شخصيته: إذ كان يأمره بالإقتداء به، وسلوك سبيله، وفي كل يوم يرفع له من أخلاقه علماً وعليّ كان يتبع أثره، أولاً بأول، كما يصف ذلك في حديثه.

ولهذا وذاك، فإن من خطل الرأي، أن لا يعتقد إمرؤ أن مسألة اختيار علي (ع) من لدن الرسول (ص) كانت هادفة لتنشئة شخص يأتي صورة لرسول الله (ص) في فكره ومواقفه وشتى ألوان سلوكه، بل حتى في مشيته[1].

فلقد كان الإمام (ع) من الصفا الروحي، والإستقامة الخلقية، وفقاً لما علمه رسول الله (ص) بحيث كانت تتكشف له الكثير من حجب المستقبل المستور، فها هو يقول: «ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه، صلوات الله عليه، فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال: هذا الشيطان قد آيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلاّ أنك لست بنبي، ولكنك وزير، وإنك لعلى خير..»[2].

فإن الشوط الذي قطعه في مضمار التقرب إلى [illegible]، وامتثال أوامره، وتجسيد متطلبات رسالته، رشحه [illegible]

---

(١) علي بن أبي طالب عبد الفتاح عبد المقصود [illegible] ص ٣٩.

(٢) نهج البلاغة ص ٣٠١ (الخطبة القاصعة) [illegible]

للنبـوة، وهو مقـام، لا ينالـه إلا من قطع شـوطاً بعيـداً، بـاتجـاه قمـة الفضيلة والتقى، فلم يفصله عن الرسول (ص) إلّا درجة النبوة، فارتقى منصة الوزارة بحق وجدارة، وهكذا كان علي. . .

«في كنف الوحي»

وإذا كان الإمام (ع) قد عاش ستت سنوات، في أحضان والـديه وإخـوته، وكـان لـرسـول الله (ص) دور بـارز في رعـايتـه، طـوال تلك السنـوات النديـة من عمره (ع). فـإن رعايـة علي وتربيتـه، صارت من اختصـاص المصطفى (ص) دون منـازع، منذ السنـة السـادسـة، حيث انتقل (ع) إلى داره (ع) على أثر الضـائقة المـالية التي ألمت بـأبيه أبي طالب، كما ذكرنا.

ومنذ تلك السن المبكرة عاش علي (ع) مع رسوله الله (ص) في بيتـه قبل الـدعوة، حيث قضى تحت رعـايتـه سنـوات الصبـا وسنـوات التفتـح على الحياة، وخـلالهـا عـاش الإمـام (ع) كـل التـطورات التي اكتنفت حياة الرسول (ص). .

فعلي لم يحظ بالتربية المألوفة، التي يحظى بها غـالباً طفـل من لدن أبيه، أو صغير من لدن أخيه الأكبر، وإنما كان أعداده وتربيتـه من نـوع خاص، وحسبـك أنه كـان يتبع محمـداً (ص) حتى في سـاعـات اختلائه في غـار حراء. . ويشهـد التطور الـروحي والفكري الـذي كان رسول الله (ص) يمر فيه، وها هو (ع) يستذكر تلك الأيام الخالدة وذلك الشطر الحساس من حيـاته، فيقـول: «. . . ولقد كـان يجاور في كـل سنة بحراء، فـأراه، ولا يراه غيـري»[1] ـ كما ألمحنـا إلى ذلك ـ أجـل كـان (ع) يعيش التحـول الـروحي الهـائـل، الـذي شهـدتـه نفس

(١) الخطبة القاصعة من نهج البلاغة ص ٣٠١ تبويب د. صبحي الصالح.

المصطفى (ص)، حتى أشرق عليه وحي السماء المبارك.

ولقد كان للمستوى الروحي والخلقي البعيد المدى الـذي سمت إليـه نفس علي (ع)، أن شعر بـالتحول الكبيـر، الذي جـرى في عالم الغيب، من انهزام للشيطان، بعد يأسه من أن يُعبد، فور بعثة الرسالـة الخـاتمة. . . فلقـد شهد علي إرهـاصات النبـوة التي شهـدهـا أستـاذه ومعلمه الرسـول (ص)، وعاشهـا كما عـاشها بمـلء كيانـه، حين سطع الهـدى، وتلقى رسول الله(ص) أول بيـان من السماء، لتكليفـه بحمـل الرسالة.

﴿إقـرَأ بإسم رَبِّـكَ الّـذي خَلَقَ. خَلَقَ الإنْسَـانَ مِنْ عَلَقٍ. إقـرَأ وَربُّكَ الأكرَم. الّذي عَلَمّ بِالقَلَم عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

(العلق ١ ـ ٥)



أول المؤمنين

حين تلقى الرسول (ص) بيان التكليف الإلهي، بحمل الرسالة، عاد إلى بيته فأطلع علياً[1] (ع)، بأمره فاستقبله (ع) بالتصديق واليقين، كذلك فعلت خديجة الكبرى، فانبثق من أجل ذلك أول نواة لمجتمع المتقين في الأرض.

على أن يجدر بنا، أن نعي أن علياً (ع) لم يدعه الرسول (ص) إلى الإسلام كما دعا غيره فيما بعد، أبداً، لأن علياً (ع) كان مسلماً على فطرة الله تعالى، لم تصبه الجاهلية بأوضاعها، ولم يتفاعل مع شيء من سفاسفها، وكل الذي كان: أن علياً (ع) قد أطلعه الرسول القائد (ص) على أمر دعوته ومنهج رسالته، فأعلن تصديقه وأيقن بالرسالة الخاتمة، وبادر لتلقي توجيهاته المباركة تلقي تنفيذ وتجسيد..

---

(١) إضافة إلى كتب التاريخ التي تصرح بأن علياً أول الناس إسلاماً فهناك عدة أحاديث عن رسول الله (ص) تجسد هذه الحقيقة راجع المستدرك ج ٣ ص ١٣٦ والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٨١ ومناقب الخوارزمي وحلية الأولياء ج ١ ص ٦٦ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٨٥ وسيرة زيني دحلان في هامش الحلبية ج ١ ص ١٨٨ : نقلاً عن الغدير ج ٣ ص ٢٢ ـ ٢٤٢ ط ٣ / ١٩٦٧ بيروت.

ولهذا يقال (كرم الله وجهه).

فإن علياً (ع) كان مؤهلاً ـ كما بينا في مطلع الحديث ـ لإتباع رسول الله (ص) في دعوته، لأنه (ص) كان قد أنشأ شخصيته، وأرسى لبناتها الأساسية.

ولا أظنني أضيف جديداً إذا قلت أن الإمام (ع) لم يفاجأ بأمر الدعوة المباركة، طالما عاش في كنف رسول الله (ص) وتفيأ ظلاله، فالمصطفى (ص) ـ كما نعلم ـ كان يعبد ربه تعالى وينأى عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته، قبل أن ينزل عليه وحي السماء، بأول سورة من القرآن الكريم[1].

وعلي (ع) كان مطلعاً على عبادة أخيه رسول الله (ص) وممارساته وتحولاته الروحية والفكرية، فكان يتعبد معه، وينهج نهجه، ويسلك سبيله، في ذلك السن المبكر من عمره..

أما حين فاتحه رسول الله (ص) بأمر الدعوة الإلهية، فقد لبى النداء بروحه ووعيه وكل جوارحه، دون أن يباغت في الأمر، وإن كان هناك جدة في المسألة، فإنما هي في الكيفية التطبيقية للرسالة ودرجة المسؤولية الواجب تحملها أو تفاصيل الأحكام.. وحين بُلِّغ رسول الله (ص) بأمر التكليف الإلهي لحمل الدعوة المباركة، بلغ كذلك، أن تنصب دعوته أولاً على الخاصة من أهل بيته (ع)، وقد أشار ابن هشام في سيرته لذلك بقوله: «فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يذكر ما أنعم الله عليه، وعلى العباد به، من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله..»[2]. ومن أجل ذلك فاتح علياً

---

(١) يراجع كتابنا / سيرة المصطفى (ص) ط بيروت.

(٢) جـ ١ ص ٢٥٩ مصطفى الحلبي وأولاده بمصر ١٩٣٦ تحقيق مصطفى السقا وجماعة.

وخديجة بالدعوة ـ كما ذكرنا ـ وبعدهما زيد بن حارثة، وبقي أمرها طي الكتمان لا يعلمه غير هؤلاء، وبعض الخاصة من أهل البيت (ع).

وقد أشار الإمام علي بن الحسين (ع) في حديث له حول إسلام جده علي بن أبي طالب (ع) بقوله: «. . . ولقد آمن بالله تبارك وتعالى وبرسوله (ص) وسبق الناس كلهم إلى الإيمان بالله وبرسوله وإلى الصلاة ثلاث سنين»[1].

ولأسبقيته في حمل الدعوة أشار الإمام (ع) في حديث جاء فيه «. . ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة . .».

وبعد أن تخطت الدعوة مرحلة دعوة الخاصة من أهل البيت (ع) جاءت مرحلة دعوة من يتوسم رسول الله (ص) فيهم القبول لدعوته، فانخرط عدد من الناس في سلك الدعوة، كان أغلبهم من الشباب، وكانت لقاءاتهم من أجل قراءة القرآن الكريم، والتعرف على أحكام دين الله تعالى تتم بصورة سرية . .

أول الدعاة:

ثم أذن الله عز وجل لرسول (ص) بدعوة عشيرته الأقربين من

(١) الروضة من كتاب الكافي جـ٨ حديث إسلام علي (ع) وهناك أحاديث بهذا الصدد يرويها كل من النسائي وابن ماجة والحاكم والطبري في تاريخه والرياض النضرة جـ٢ ص ١٥٨ وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٠٠ وغيرها راجع ٢٢١ ـ ٢٤٠ ج ٣ من الغدير، على أن تلك الروايات تشير إلى أن إيمان علي وعبادته قد سبق فيها الناس بسبع أو تسع سنين، وهي لا تخالف القول بثلاث سنين أبداً فإن المراد بأنه سبق بالتصديق بالإسلام بعد الدعوة بثلاث سنين وسبق سواه بالإيمان والتعبد مع الرسول (ص) في مرحلة الأعداد التي أشار إليها في خطبة القاصعة بسنوات أخرى . .

بني هاشم، ليوسع من مدار الدعوة بذلك، فقال تعالى:

﴿.. وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ. وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنْ المُؤْمِنِينَ. فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعمَلُونَ﴾.

(الشعراء / ٢١٤ - ٢١٦)

فلما تلقى رسول الله (ص) أمر ربه الأعلى بإنذار عشيرته الأقربين، أمر علياً (ع) أن يدعوهم إلى طعام عنده، فحضروا إلى دار رسول الله (ص) وكانوا أربعين رجلاً.

وبعد أن تناولوا طعامهم، بادرهم الرسول (ص) بقوله «.. يابني عبد المطلب، أن الله بعثني إلى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصة، فقال: «وأنذر عشيرتك الأقربين» وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان، ثقيلتين في الميزان، تملكون بهما العرب والعجم، وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بهما الجنة، وتنجون بهما من النار، شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» فمن يجيبني إلى هذا الأمر ويوّازرني عليه، وعلى القيام به يكن أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي..»[1].

وبين تنديد أبي لهب، وتحذيره للرسول (ص) من الإستمرار

---

(١) أخرج الحديث كل من: ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردوية، وأبي نعيم، والبيهقي في سننه وفي دلائله، والثعلبي، والطبري في تفسيرهما لسورة الشعراء من تفسيريهما الكبيرين، وأخرجه الطبري في تاريخ السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٨١، والطحاوي، والضياء المقدسي في مختاره، وأحمد بن حنبل ج ١ ص ١١١ وص ١٥٩، والنسائي في خصائصه ص ٦، وكنز العمال ج ٦ الحديث رقم ٦٠٠٨، والمفيد في إرشاده في مناقب علي (ع) وغير هؤلاء كثير وكلهم أوردوه بألفاظ متقاربة نقلاً عن المراجعات للسيد شرف الدين ص ١٢٤ وما بعدها.

بالدعوة من جهة، وتأييد أبي طالب له ومخاطبته الرسول (ص) بقوله: «فامض لما أمرت به، فوالله لا أزال أحوطك وأمنعك»[1].

أقول من خلال التأييد، الذي أعلنه أبو طالب، والتنديد البليد الذي أعلنه أبو لهب، وقف علي بن أبي طالب (ع) وكان أصغر الحاضرين سناً فقال: «أنا يا رسول الله أوازرك على هذا الأمر» فأمره الرسول (ص) بالجلوس، ولما لم يجبه أحد نهض علي ثانية والرسول (ص) يجلسه..

وأعاد الرسول (ص) دعوته إلى قومه، فلم يجبه أحد، وكان صوت علي (ع) وحده يلبي الدعوة، ويهدر بالمؤازرة والنصرة، فمزق صمتهم بصلابة إيمانه، وقوة يقينه، وحيث لم يجب رسول الله (ص) أحد للمرة الثالثة.. التفت إلى مجيبه الوحيد، قائلاً: «اجلس فأنت أخي ووصيي ووزيري ووارثي وخليفتي من بعدي»[2].

فنهض القوم من مجلسهم، وهم يخاطبون أبا طالب: «ليهنئك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك، فقد جعل ابنك أميراً عليك»[3].

مواجهة الجاهليين:

ودخلت الدعوة إلى الله مرحلة المواجهة ـ بعد إنذار العشيرة ـ وأول من قاد ردّ الفعل أبو لهب وزوجته، وكانا يعترضان رسول الله (ص) ويزرعان المشاق في طريقه، لإثنائه عن دعوته المباركة ولكن دعوة الله سبحانه مضت، تشق طريقها في المجتمع الجاهلي

---

(١) صور من حياة محمد / أمين دويدار ص ١٤٠، وفقه السيرة / للغزالي ص ١٠٢ ـ ١٠٣، يراجع الهامش أعلاه.

(٢ ـ ٣) صور من حياة محمد / أمين دويدار ص ١٤٠، وفقه السيرة / للغزالي ص ١٠٢ ـ ١٠٣، يراجع هامش رقم (١) ص ٢٢ من هذا الكتاب.

المتحجر ذاك، فقد انتقلت بعد إبلاغ العشيرة إلى الدعوة العامة، حيث وقف رسول الله (ص) عند البيت الحرام، وخاطب الجموع بأنه رسول الله إليها[1]. .

وبعد الدعوة تزايد عدد المؤمنين وأغلبهم من الشباب ومن شتى قطاعات المجتمع المكي. .

وكان لتزايد عدد المؤمنين برسالة الله تعالى أثر بالغ على موقف الجاهليين، فقد سلكوا أسلوب الإرهاب للرعيل الأول من المؤمنين، فكانت كل قبيلة وكل بيت يتصدى لمن فيه من المؤمنين بالتعذيب والإضطهاد[2]، والمؤمنون يزدادون صموداً وإيماناً بصوت الحق والهدى، الذي دوى به صوت رسول الله (ص) فرددته النفوس الظمأى إلى الخير والإنعتاق. .

وبسبب التعذيب الجسدي الوحشي، الذي صب على المؤمنين، كانت هجرة الحبشة التي قادها جعفر بن أبي طالب والذي يكبر علياً (ع) بعشر سنين، وكان لجعفر وحكمته الأثر الفعال في إفشال مخطط قريش في إثارة ملك الحبشة على المهاجرين، لطردهم من بلاده[3].

أبو طالب يتصدى لاعداء الرسالة:

وإذا كانت قريش قد تصدت للسابقين من المؤمنين بالعنف والإضطهاد، فإنها ليست قادرة على التصدي لرسول الله (ص)، قائد الدعوة ورسولها، بنفس المستوى، لعلمها أن أبا طالب شيخ الأبطح،

---

(١) يراجع القسم الأول من كتاب سيرة المصطفى (ص) ط بيروت للمؤلف.

(٢) و (٣). ـ المصدر السابق ـ يراجع القسم الأول أيضاً.

يحول دون تحقيق أي لون من ألوان التصدي والإرهاب لرسول الله (ص).

فأبو طالب، رجل مرهوب الجانب، ذو سطوة ونفوذ، ليس في بني هاشم وحدهم، وإنما في قبائل مكة كلها.

وقد كان الرجل سند الدعوة وجدارها الشامخ، الذي تستند إليه منذ تباشير فجرها الزاهر.. وقريش، كانت تدرك ذلك تماماً.

ومن أجل ذلك، سلكت أسلوب المفاوضة، والمساومة والإغراء: تفاوض الدعوة والرسالة في شخص الرسول (ص) مرة، وفي شخص أبي طالب مرة أخرى.. فحين كانت تعرض المال والسلطان على رسول الله (ص)، مقابل تركه الدعوة، والتنازل عن الرسالة، فإنها كانت تفاوض أبا طالب، وتحاوره بشأن دعوة الرسول (ص)، طالبة أن يستعمل نفوذه، بالضغط عليه، لترك رسالته، وتهدده باحتدام الصراع بينه وبين قريش كلها، إذا لم يخل بينهم وبين رسول الله (ص)، ويكف عن إسناده له.

بيد أن أبا طالب، كان يعلن إصراره على التزام جانب رسول الله (ص)، والذود عنه، مهما غلا الثمن، وعظمت التضحيات.

أبو طالب في الحصار مع رسول الله (ص):

ولما استبد اليأس بقريش، من أن أبا طالب لن يفرّط بمحمد (ص) ودعوته،. عقد زعماؤها اجتماعاً طارئاً في دار الندوة ـ وهي دار قصي بن كلاب، التي اعتادت قريش أن تجتمع فيها للتشاور في القضايا المصيرية من حياتها. وتوصل المجتمعون إلى قرار، يقضي بحصار بني هاشم، ومن يلوذ بهم، حصاراً اقتصادياً واجتماعياً، ينصب على عدم مبايعة بني هاشم أو الشراء منهم، أو

تزويجهم، أو التزوج منهم، وقد ذيل قرار المقاطعة ذلك بأربعين توقيعاً لزغماء قريش. . .

ودخل بنو هاشم شعب أبي طالب، بناء على أوامر من عميدهم أبي طالب ذاته، حماية لأنفسهم من سطوة قريش، وأصبح من المعتذر عليهم الخروج إلى مكة، إلا في موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة من كل عام. وبالنظر لتفاقم الموقف بين بني هاشم وقريش، شدد أبو طالب الحراسة على الشعب، بعد تحصينه، خشية هجوم قريشي مباغت. .

واستمر الحال ببني هاشم ـ بما فيهم رسول الله (ص) وعلي ابن أبي طالب (ع) هكذا ثلاث سنين ـ وقيل أربعاً ـ وقد عانوا من شظف العيش، والحرمان والفاقة، وما يدمي القلب، ويحز في النفس.

ولك أن تقدر حجم ما عانى المحاصرون من ضيق، إذا علمنا أن قريشاً قد شذدت عليهم الحصار بشكل كامل، فقطعت عنهم التموين، وكانت غالبآما تضاعف أثمان البضائع، ليعجز بنو هاشم عن شرائها ، بشكل أدى بهم إلى المجاعة الحقيقية، حتى أن صراخ أطفالهم وتضورهم جوعاً كان يسمع من بعيد. .

وبعد أن تصرمت السنون الثلاث، بعسرها وآلامها وفاقها، أخبر رسول الله (ص) عمه أبا طالب أن صحيفة المقاطعة التي كتبتها قريش قد أتت دودة الأرضة على ما فيها من ظلم وقطيعة فأكلتها، إلاّ عبارة «باسمك اللهم» فأسرع أبو طالب إلى قريش، قائلاً:

«. . إن ابن أخي أخبرني أن الله قد سلط عى صحيفتكم الأرضة فأكلتها، غير إسم الله، فإن كان صادقاً نزعتم عنه سوء رأيكم،

وإن كان كاذباً دفعته إليكم. . »[1].

قالوا: قد أنصفتنا. . ثم فتحوها، فإذا هي كما قال. . ووقع نزاع حاسم بين قريش، نتج عنه تمزيق الصحيفة، وانتهاء المقاطعة، ورفع الحصار عن بني هاشم، وقد كان لإفشال مشروع الحصار بذلك الشكل الإعجازي الجلي أثره في كسب الدعوة للمؤيّدين، والأنصار في مكة. .

أرأيت كم من التضحيات في سبيل رسالة الله، بذل بيت علي (ع)؟

فإذا كان علي أول من لبى صوت الحق، وظل مجاهداً في الصف الأمامي من الجبهة الإسلامية طوال حياته، فإن أباه قد ضحى حتى بمكانته الإجتماعية التي كان يحظى بها من لدن قريش، وذاق المحن من أجل رسالة الله تعالى، حتى كان بحق الدرع الواقي للرسول (ص)، والدعوة في حين كانت المكانة الإجتماعية: حلم الرجال، ومبتغاهم في ذلك المجتمع القبلي. .

وهكذا كان جعفر بن أبي طالب، أخو علي (ع) الذي دشن حياته الإسلامية بقيادة موكب الهجرة الأولى إلى الحبشة وتوجها بالشهادة في غزوة مؤتة. . ففاز بلقب الطيار مع الملائكة في الجنة كما أخبر رسول الله (ص) بذلك[2]. .

---

(١) بحار الأنوار ج ١٩ باب دخول الشعب، طبقات ابن سعد ج ١ ص ١٧٣، ١٩٢، سيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٩٩ - ٤٠٤ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ١٥١، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ٨٤، ٩٦، ٩٧، السيرة الحلبية ج ١ ص ٣٥٧ - ٣٦٧ الكامل لابن الأثير / ٢ ص ٣٦. . نقلاً عن الغدير ج ٧ ص ٣٦٣ - ٣٦٦.

(٢) بحار الأنوار ج ٢١ باب غزوة مؤتة، ابن سعد في طبقاته ج ٤ ص ٢٣، وأسد الغابة ج ١ ص ٢٨٧، ابن أبي الحديد ج ٣ ص ٤٠٧، البداية والنهاية ج ٤ ض ٢٥٦ =

ولعظيم حب رسول الله (ص) لجعفر، إنه حين قدم المدينة المنورة من الحبشة، وذلك يوم فتح خيبر، استقبله الرسول (ص) وقبل ما بين عينيه، وهو يقول (ص): «ما أدري بأيهما أنا أشد فرحاً: بقدوم جعفر؟ أم بفتح خيبر»[1].

إلى دار الاسلام:

.. وفي خضم الصراع العنيف، الناشب بين الدعوة الإلهية المباركة، والجاهلية الرعناء، فجع الإسلام بفقد مؤمن قريش: أبي طالب (رض) فاهتز رسول الله (ص) للحادث الأليم، وعلم أن قريشاً ستعمل على تصعيد حملتها على الدعوة، وعلى شخصه الكريم بالذات..

وإذا كانت قريش تخش أبا طالب، ومركزه الإجتماعي، فيما مضى، فقد صفا لها الجو بعد موته، وها هو رسول الله (ص) يفقد سنده الشامخ، ويصاب بعده بفاجعة أخرى، لا تقل في تأثيرها عليه عن الأولى، فقد توفيت زوجته الوفية خديجة، حتى دعا العام الذي فقدهما فيه «عام الحزن».

وللأهمية البالغة، التي يحتلها أبو طالب، في سير الحركة التاريخية لدعوة الله تعالى، صرح رسول الله (ص) بقوله:

«ما زالت قريش كاعةً عني حتى مات أبو طالب»[2].

= الإستيعاب ج ١ ص ٨١، نقلاً عن مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني باب ذكر مقتل جعفر بن أبي طالب ص ١٠ وما بعدها ط ٢ / ١٩٧٠.

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تأريخ الطبري ج ٢ ص ٢٢٢: تأريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٨٤، مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٦٢٢، تاريخ ابن كثير ج ٣ ص ١٢٢: «نقلاً عن الغدير ج ٧ ص ٣٧٦»، كشف الغمة في معرفة الأئمة ج ١ ص ١٦ ... وغيرها.

وصعدت قريش حملتها على رسول الله (ص) والسابقين من المؤمنين، فاتحة رسول الله (ص) للبحث عن أرض غير مكة، تستقر عليها دعوة الله، فتنمو عليها شجرة الهدى، وراح يتصل بالقبائل، ويعرض أمره على الناس في أطراف مكة... ثم زار الطائف، واتصل بزعماء قبائلها، فلم يستجب له أحد ذو أثر اجتماعي، بيد أن اليأس لم يتسرب إلى نفسه، واستمر في عرض نفسه على الناس من خارج مكة، حتى التقى في موسم الحج بنفر من أهل يثرب، وفاتحهم بأمر الدعوة، فاستجابوا له، ولبوا دعوة الله، وعادوا يحملون كلمة الله إلى قومهم.

وفي اليوم التالي قدم منهم اثنا عشر رجلاً، فبايعوه على الإيمان وحمل الرسالة، فأرسل لتعليمهم أحكام دين الله تعالى: مصعب ابن عمير، فمكث فيهم سنة كاملة، ويدعوهم إلى الله، ويؤدبهم بتعاليم رسالته، ويقرئهم القرآن الكريم فدخل الكثير من الناس في الإسلام، وأستجابوا لنداء الدعوة المباركة..

وفي موسم الحج حضر منهم إلى مكة وفد كبير يقوده مصعب بن عمير، فالتقوا برسول الله (ص)، وبايعوه على النصرة أن هو هاجر إلى بلدهم..

وتنزل أمر الله تعالى يدعو المسلمين إلى الهجرة، فزحفت مواكب المهاجرين صوب الدار الجديدة مخلفين وراءهم المال والوطن وعلائق الدم والقربى.

ولئن كانت الدعوة قد أوشكت على الدخول في مرحلة جديدة من مراحل مسيرتها العتيدة، فإن قريشاً، قد اجتمعت في دار الندوة للتشاور بشأن رسول الله (ص) بالذات، فتوصل قادتها إلى قرار يقضي

بـاغتيال جمـاعي لرسـول الله (ص) يتولاه من كـل قبيلة رجل منهـا وأن ينفذ الإغتيال ليلاً.

وكشف جبريل (ع) لرسول الله(ص) أوراق الجريمة التي أجمعت قريش على اقترافها.

﴿وَإِذْ يمْكُـرُ بِكَ الـذّينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُـوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخـرِجُـوكَ وَيَمكُرُونَ وَيَمْكُرُ الله واللهُ خَيْرُ المَاكِرِينَ﴾.

(الأنفال / ٣٠)

في فراش رسول ا (ص):

وأبلغ جبـريل (ع) رسـول الله (ص) بأمـر الله تعالى بـالهجرة إلى المدينة المنورة.. وحين أنتشر الظلام، أسرع المتـآمرون لتـطويق بيت الـرسول (ص) للحيلولـة دون خروجـه.. وعنـدهـا جـاء دور علي (ع) حيث أمره رسول الله(ص) أن ينام على فراشه، ويلتحف ببردته، وخرج صلى الله عليه وآله من بينهم وهو يتلو قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدّاً وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدّاً فَـأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾.

(يس / ٩)

فلم يشاهده أحد من المشركين:

وعنـد طلوع الفجر اقتحم المتـآمرون دار رسـول الله (ص) لتنفيذ جـريمتهم واتجهوا لغـرفته، فـوثب علي (ع) في وجـوههم قـائـلاً: مـا شأنكم؟

قالوا: أين محمد؟

قال «أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخـرجه من بـلادنا فقـد

خرج عنكم..»[1].

فانقلبوا خاسرين وباؤوا بالفشل الذريع... ثم بدا لهم أن يبحثوا عن الرسول (ص) ويجدوا في طلبه في الجبال والوديان، واصطحبوا لذلك أبا كرز، وهو رجل شهير بعلم معرفة الأثر، وبالفعل استطاع أبو كرز أن يتابع أثر الرسول (ص) حتى أوصل القوم غار جبل «ثور» مؤكداً لهم أن محمداً (ص) قد وصل في نهاية شوطه إلى ذلك الغار، وأذن فلا بد أن يكون قد عرج إلى السماء أو اختفى تحت الأرض[2]، وحيث أن الله سبحانه قد بعث عنكبوتاً فنسجت بيتاً لها على باب الغار، فإن المتآمرين لم يخطر ببالهم أن الرسول (ص) في داخل الغار الذي يقفون على بابه، وهكذا صرف الله عقولهم فولوا الأدبار...

وعند حلول الليلة الثانية أسرع علي (ع) وهند بن أبي هالة إلى الغار للإتصال بالرسول (ص) تحت جنح الظلام[3] وتحاور رسول الله (ص) مع علي (ع) حول مستلزمات الهجرة.. فأوصاه بأداء الأمانات إلى أهلها، وباللحوق به (ص) بعد ذلك وأوصاه أن يحمل معه فاطمة الزهراء (ع) ومن معها من نساء أهل البيت..

انتظار في قبا:

وبعد أيام من مسيرة الركب وصل الرسول (ص) إلى «قبا» حيث نزل عند كلثوم بن الهدم أحد زعماء بني عمرو بن عوف[4] وهناك أقام الرسول (ص) مسجد قبا، ومكث ينتظر قدوم علي بن أبي طالب (ع)[5]

---

(١) و(٢) تفسير سورة الأنفال آية ٣٠ يراجع الميزان ج ٩ بحث روائي ص ٨٠.

(٣) أعيان الشيعة ج ٣ ط / ٣ ص ١٥٥.

(٤) بحار الأنوار ج ٩ والروضة من الكافي ج ٨ ص ٣٣٩، للكليني ط / طهران.

(٥) الفصول المهمة في معرفة الأئمة / ابن الصباغ المالكي «فصل في شيء من شجاعته ص ٢٨».

إذ كتب إليه كتاباً يأمره بالمسير إليه، وقد حمل الكتاب أبو واقد الليثي، وحيث أن علياً (ع) قد أدى ما أوصاه به رسول الله (ص) قبل هجرته وأعاد الأمانات التي كانت لدى الرسول (ص) إلى أهلها، فقد عجل باللحوق بأخيه رسول الله (ص) فبادر إلى إعداد ركائب لحمل النساء فاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت أسد، وفاطمة بنت حمزة وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب.

ثم أمر ضعاف المؤمنين أن يتسللوا ليلاً إلى ذي طوى وخرج هو والفواطم وأيمن وأبو واقد الليثي نهاراً[1].

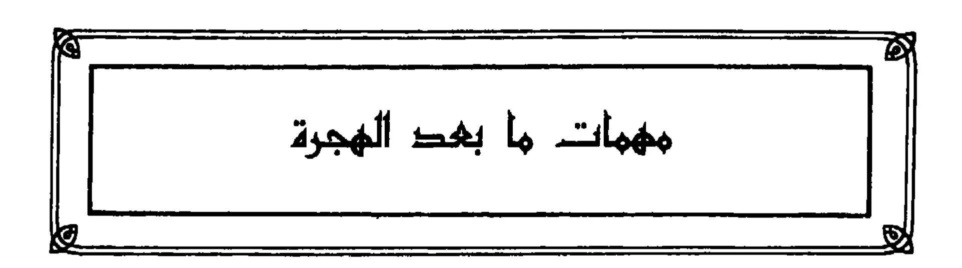
ولم تمض غير أيام قليلة حتى وصل ركب علي والفواطم إلى قبا، فاستقبلهم رسول الله (ص) وعانق علياً (ع) وبكى رحمة به ـ وذلك لما ألم به من إرهاق وأذى.

وبعد مقدم علي (ع) على رسول الله (ص) بيومين ارتحل الرسول (ص) وبصحبته علي (ع) ومن معه من المهاجرين إلى المدينة المنورة...

وكان الركب النبوي يستقبل استقبالاً مهيباً عند كل حي يمر به.. حتى إذا وصل الرسول (ص) إلى المكان الذي أقيم مسجده فيه توقفت راحلته عن المسير فنزل عنها، وأقام ضيفاً عند أبي أيوب الأنصاري (ر).. ثم بادر إلى بناء المسجد والدور الخاصة به وبأهل بيته، وفي طليعتهم علي (ع) إذ أقيمت حجرته بجنب حجرة عائشة[2].

---

(١) و(٢) أعيان الشيعة ج ٣ ط / ٣ ص ١٥٥ «هجرته إلى المدينة».



مهمات ما بعد الهجرة

استقبلت المدينة عهداً جديداً من تاريخها بوصول رسول الله (ص) إليهاحتى أرسى (ص) قواعد دولة القرآن، وعمل على تحصينها لتكون مناراً يشع نور الحق إلى الآفاق فيبدد ظلام الجاهلية الحالك..

وإذا كانت الدعوة بعد الهجرة قد امتلكت دولة وفرت لها الكثير من شروط الحماية والتحصين، فإن ذلك لا يعني بحال أن مكر الأعداء وخططهم لإطفاء نور الإسلام قد انتهى بل العكس هو الذي كان، فالجاهلية بقواها المتعددة وواجهاتها الكثيرة قد أجمعت على حرب الإسلام ودولة الإسلام، وقد دخلت فصائل كثيرة إلى الميدان لغير صالح الإسلام، بعد أن أدركت عملياً أن وجودها في خطر بعد امتلاك الإسلام الدولة التي ترعاه ويحقق أهدافه من خلالها..

وهكذا كانت مرحلة ما بعد الهجرة قد وضعت المسلمين أمام مسؤوليات أشمل ميداناً وأبعد خطراً، حيث بناء الدولة وحمايتها وبناء المجتمع وترصينه، وصد الأعداء ونشر العقيدة وغير ذلك..

والصراع بطبيعته قد تحول بدوره من صراع أفراد أو إرهاب

قبائل، وأصحاب وجاهات لأفراد عزل لا يملكون غير دينهم وثقتهم بالله تعالى.. إلى صراع عسكري منظم بين قوى جمعتها المصالح والإهواء ولو آنياً لحرب الإسلام العظيم باعتباره - وبتقديرهم - الخطر الماحق لوجودهم الفكري والعملي.. وقد تفجر الصراع العسكري بشكل لم يشهد له التاريخ مثيلاً.

وحسبك أن دولة القرآن قد شهدت عبر عشر سنوات عاشها الرسول (ص) بعد هجرته إلى المدينة عشرات من الأعمال العسكرية بين حروب دفاعية أو هجومية أو غزوات أو سرايا أو غيرها.. قدم المسلمون خلالها الكثير من الضحايا ولاقوا صنوفاً من البلاء بيد أنهم أنهوا الوجود العملي للجاهلية العربية.. فشملت دولة الإسلام الجزيرة العربية دون منازع..

وإذا تتبعنا تلك المرحلة الدقيقة من عمر الرسالة الخاتمة لوجدنا أن دور علي بن أبي طالب (ع) فيها لم يرق إليه دور قط.. فهو في جميع حروب الإسلام مع أعدائه كان يفوز بقصب السبق لا من باب اشتراكه في الحرب أو قتاله فيها، وإنما بما قدمه من بطولة وتضحية يسبق بها سواه ومن المناسب هنا أن نذكر طرفاً من بطولته (ع):

بأس في الحرب:

١. في معركة بدر:

كان عدد المسلمين يساوي ثلث جيش عدوهم وكانت العدة لدى المسلمين ليست ذات بال فعلى سبيل المثال كانوا لقلة ركائبهم يركب منهم الإثنان والثلاثة والأربعة على بعير واحد، ولم يكن منهم فارس غير المقداد بن الأسود الكندي، وكانت أسلحة بعضهم من جريد النخل ونحوه..

حتى إذا اضطرمت نار الفتنة تقدم علي (ع) وكان يحمل لواء

الـرسول (ص)[1] فخـاض غمـار معـركـة حـامية غيـر متكـافئـة، كـان المسلمون خلالها يستغيثون ربهم طلباً للنصر فـاستجاب لهم وأمـدهم بالملائكة، وقد انتهت المعركة بمقتـل سبعين رجلاً من المشـركين كان مقتل حوالي نصف عددهم بسيف علي[2].

٢ـ وفي معركة أحد:

كان رسول الله (ص) قـد أعطى لـواء المهاجـرين لعلي (ع) ولما اشتبك الطرفان كان النصـر ابتداء للمسلمين، بيـد أن حماة جبـل أحد الـذين أمرهم الـرسول (ص) بعـدم مفارقتـه تركـوا أمـاكنهم بعـد فـرار المشركين بدافـع الطمـع في الغنائم، فصعـدت إحدى فـرق لمشركين بقيادة خالد بن الـوليد الجبـل فتغير المـوقف لصالـح المشركين فخسـر المسلمـون الكثير من الشهـداء. . وأصيب الرسـول (ص) بجـروح في وجهه الكريم وكسـرت رباعيتـه وحيث لم يبق مع رسـول الله (ص) في ذلـك الموقف الـرهيب بعد فـرار المسلمين غير علي (ع) وأبي دجـانـة وسهـل بن حنيـف استبسـل عـلي (ع) كعــادتــه فـي الـدفــاع عن رسول الله (ص) ومجد الرسالة الإلهية، وقتل حملة اللواء من المشركين واحداً بعد الآخر، وكانوا تسعة رجال ثمانية من بني عبد الدار وتاسعهم عبدهم[3]. مما أربك العدو واضطره للفرار.

---

(١) أحمد بن يحيى البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩١ و ٩٤ ط/١ سنة ١٩٧٤ بيـروت / ومستـدرك الصحيحين ج ٣ ص ١١١ / وابن سعـد في الـطبقـات ج ٣ ص ١٥.

(٢) حياة أمير المؤمنين / محمد صادق الصدر ط / ٢ سنة ١٩٧٢ ص ٢٣٠.

(٣) تـاريخ الـطبري ج ٣ ص ١٧ / وأحمـد بن حنبل في الفضـائـل / وابن هشـام في السيـرة النبويـة ج ٣ ص ٥٢ ودلائـل الصـدق / الشيـخ محمـد حسن الـظفـر ج ٢ ص ٣٥٧ ط قم. وحياة أمير المؤمنين / السيد الصدر ص ٢٣٦ وما بعدها والإرشاد للمفيد ص ٥٢.

٣ـ وفي غزوة الاحزاب:

طوقت المدينة بعشرة آلاف من المشركين[1] بشتى فصائلهم، ونقض بنو قريظة صلحهم مع رسول الله (ص) وانضموا إلى صفوف الغزاة، فتغير ميزان القوى لصالح العدو، وبلغ الذعر في نفوس المسلمين أيما مبلغ، فقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وزلزلت نفوس وظنت نفوس بالله الظنونا ـ كما حدثنا القرآن[*] ـ .

وبدأ العدو هجومه بعبور عمرو بن عبد ود العامري أحد أبطال الشرك الخندق مع بعض رجاله، فهددوا المسلمين في داخل المدينة بل في داخل تحصيناتهم.. وراح بن عبد ود يصول ويجول، ويتوعد المسلمين ويتفاخر عليهم ببطولته، ويستعلي وينادي:

هل من مبارز؟

فقام علي (ع) وقال: إنا له يا رسول الله.

قال رسول الله (ص): اجلس إنه عمرو!

وكرر ابن عبد ود النداء وجعل يوبخ المسلمين، ويسخر بهم يقول: أين جنتكم التي تزعمون، أن من قتل منكم يدخلها، أفلا تبرزون لي رجلًا؟

ولما لم يجبه أحد من المسلمين، كرر علي (ع) طلبه: أنا له يا رسول الله.

فقال (ص) اجلس إنه عمرو!

فأبدى علي عدم اكتراثه بعمرو وغيره، قائلًا: وإن كان عمروا!!

(*) تراجع سورة الأحزاب ١٠.

فـأذن رسـول الله لعلي (ع)، وأعــطاه سيفـه ذا الفقــار، وألبسـه درعه، وعممه بعمامته . .

ثم قـال (ص) «اللهم هذا أخي وابن عمي، فـلا تـذرني فـرداً، وأنت خير الوارثين»[1].

ومضى علي (ع) إلى الميـدان، وخاطب ابن عبـد ودّ بقولـه: يـا عمرو إنك كنت عاهدت الله، أن لا يدعوك رجل من قريش إلى إحدى خلتين إلّا قبلتها . .

قال عمرو: أجل.

فقـال علي (ع) فـإني أدعـوك إلى الله وإلى رسـولـه (ص) وإلى الإسلام.

فقال: لا حاجة لي بذلك.

قال له الإمام: فإني أدعوك إلى البراز.

فقال عمرو: إني أكـره أن أهريق دمـك، وإن أباك كـان صديقـاً لي . .

فرد عليه الإمـام (ع) قائـلاً: لكني والله أحب أن أقتلك، فغضب عمرو، وبدأ الهجوم على علي (ع) فصده الإمام برباطه جأشه المعتاد، وأرداه قتيلاً، فعلا التكبير، والتهليل في صفوف المسلمين[2] . .

ولمـا عاد الإمـام (ع) ظافـراً استقبله رسول الله (ص) وهـو يقـول «لمبارزة علي بن أبي طالب لعمـرو بن عبد ودّ، أفضـل من عمل أمتي

---

(١) السيرة النبوية / أحمد زيني دحلان جـ٢ ص ٦ و ٧ «غزوة الخندق».

(٢) المصدر السابق.

إلى يوم القيامة»[1].

وبعد مقتل ابن عبد ودّ بادر علي (ع) إلى سد الثغرة التي عبر منها عمرو ورجاله الخندق ورابط عندها[2] مزمعاً القضاء على كل من تسول له نفسه العبور، ولولا ذلك الموقف البطولي لاقتحم جيش المشركين المدينة على المسلمين، بذلك العدد الهائل.

وهكذا كانت بطولة علي (ع) في غزوة الأحزاب أهم عناصر النصر للمعسكر الإسلامي، وانهزم المشركين.

٤. وفي غزوة خيبر:

عجز عليه القوم عن الصمود أمام اليهود، ولما بان ضعف الجميع عن اقتحام حصون خيبر حتى تأخر فتحها أياماً قال رسول الله (ص) «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه..»[3].

ولما كان الغد أعطاها علياً فاقتحم حصون خيبر ودخلها عليهم عنوة، وقتل بطلهم مرحباً ثم فتح الحصون جميعاً..

٥. غزوة حنين:

فرّ المسلمون فلم يبق مع رسول الله (ص) غير علي (ع)[4]

---

(١) مستدرك الصحيحين ٣ ص ٣٢ عن سفيان الثوري ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج ٣ ص ١٩: نقلاً عن فضائل الخمسة ج ١.

(٢) السيرة النبوية لدحلان / ٢ ص ٦ و ٧ «غزوة الخندق» أو إرشاد المفيد ص ٥٨.

(٣) أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٣ و ٩٤ عن أبي هريرة وابن عباس بلفظ متشابه / وخصائص علي بن أبي طالب للنسائي ص ٩ وما بعدها ط / ١ ١٩٧٥ بيروت وفي الإصابة والإستيعاب وحلية الأولياء ومسلم في الصحيح بألفاظ متقاربة.

(٤) سيرة الرسول للسيد محسن الأمين نقلاً عن السيرة الحلبية وابن قتيبة في المعارف،

والعبـاس وبعض أهـل البيت (ع) فكـان النصـر بعـد عـودة المسلمين لميدان القتال.. وكان الظفر..

هذه صور يسيرة من مواقف الصمود التي سجلها الإمام علي (ع) بين يدي رسول الله (ص) القائد في أدق الساعات وأكثرها حرجاً[1].

ومن نافلة القول أن نعيد إلى الأذهان أن علياً (ع) قد اشترك في حـروب رسول الله جميعـاً غير تبـوك[2] وذلك بـأمر من الـرسـول (ص) بذاته، وكـان له في جميعهـا القدح المعلى، هـذا عدا الغـزوات التي قادها بنفسه عليه السلام.

والبـاحث المنصف حين يتناول حيـاة الإمام علي (ع) بـالدراسـة وفي شـطرها الجهـادي بالـذات يقف مـذهـولاً أمـام بـطولتـه الفـريـدة وتضحياته المعطاءة، لكن البطولة بما هي بـطولة ليست هي الميـزة في جهاد علي (ع) وإن كان ميدانها الواسع وشمولها يبقى سمة من سمات علي ولكن الأهم فيهـا إنمـا هـو الإخـلاص لله تعـالى والتضحيـة في سبيله.

فـإيمان علي (ع) بـالله تعالى يبقى هـو الحـافـز والمحـرك لتلك

= وتفسير الميزان للسيد الطباطبائي ج ١٠ تفسير آية ٢٥ من التوبة والبحث الروائي / والإرشاد للمفيد «غزوة حنين» ص ٨١.

(١) لـلإستزادة يـراجع كتـاب الإمام علي / عبـد الفتاح عبـد المقصـود وأعيـان الشيعـة المجلد الثـالث / للسيد محسن الأمين والإرشـاد للشيخ المفيـد وسيـرة ابن هـاشم والفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصباغ المالكي.

(٢) راجع أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٢ ط ١ ١٩٧٤، (ومستـدرك الصحيحين ج ٣ ص ١١١ وابن سعـد في طبقاتـه ج ٣ ص ١٠ وابن حجر في تهـذيب التهذيب ج ٣ ص ٤٧٥) نقـلاً عن فضـائـل الخمسـة لمعـرفـة المـزيـد من المصـادر ج ٢ ص ٣٠٩.

البطولات العظيمة التي سجلها تاريخ الإسلام في أنصع صفحاته بشكل لم يسجل مثلها لسواه.

وحسبك في ذلك أن كثيراً من المواقف العسكرية - كما رأينا - يعترض فيها عليه القوم فضلاً عن عامتهم للهون بل والهزيمة النكراء غير أن التاريخ لم يسجل لعلي (ع) إلا الصمود والفداء والتضحية في كل موقف، صمد الناس فيه أم انهزموا، الأمر الذي لا يفسره إلا ما يتمتع به علي (ع) من صدق اليقين وعمق الإستعانة والتوكل على الله والعبودية له، واللامبالاة بما سواه كبر ذلك أم صغر. هذا عدا ما يتمتع به علي (ع) من علو الهمة وقوة العزيمة ورباطة الجأش وسمو النفس.

علي في منظار الاسلام

لم يحظ رجل في الإسلام ما حظي به علي بن أبي طالب (ع) من ثناء وإجلال من لدن الرسالة الإسلامية، وحثها المتزايد لإتباعها لا على تقديره فحسب، وإنما على التزامه، وانتهاج سبيله.

وقد انطوى القرآن الكريم والسنة الشريفة والتاريخ الصحيح على نصوص وروايات تنطق كلها بالثناء على علي (ع).

فمرة تأتي كأوسمة يضعها الإسلام على صدره فيميزه.

ومرة على شكل أحكام وأوامر تلزم المسلمين على التزام علي (ع) إماماً ومنهجاً.

فمن أوسمه التقدير التي نالها علي (ع) من الله تعالى ومن رسوله (ص) نذكر منها يلي:

١ - ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾.

(الأحزاب - ٣٣)

وذهب المفسرون لهذه الآية أنها نزلت في رسول الله (ص)

وعلي وفاطمة الزهراء والحسن والحسين (ع) حين دعا الرسول (ص) بعباءة وجللهم بها، ولها نزلت الآية قالت أم سلمة زوجة الرسول (ص): هل أنا من أهل بيتك؟

قال: لا ولكنك على خير[1].

٢ ـ ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعنَةَ اللهِ عَلَىٰ الكاذِبِينَ﴾.

(آل عمران / ٦١)

ذكر أهل التفسير من جميع المسلمين أنها نزلت حين خرج رسول الله (ص) بعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لمباهلة نصارى نجران، فلما رآه النصارى قد خرج بأهل بيته خافوا العاقبة واعتذروا عن مباهلته، فدفعوا الجزية خضوعاً منهم لسلطان دولته (ص)[2].

٣ ـ ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلَى حُبِهِ مِسكيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً. إِنَّمَا نُطْعِمكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً. إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا

---

(١) راجع صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة، والحاكم في مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤٧ والبيهقي في سنة ج ٢ ص ١٤٩ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية، وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٠٩ وابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٢٩٧ وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٢٢٤ وما بعدها.

(١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣٠٠ وأحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ١٨٥ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير آية المباهلة والزمخشري في كشافه والفخر الرازي في تفسير الكبير وغيرهم نقلاً عن فضائل الخمسة من الصحاح الستة ص ٢٤٤ وما بعدها.

يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً. فَوَقَيهُم اللهُ شَرَّ ذٰلِكَ اليَوْمِ وَلَقَّيهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً﴾.

(الدهر / ٨ - ١١)

وهذه بإجماع أهل التفسير نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين (ع).

وكان ذلك عندما مرض الحسنان فنذر علي (ع) وفاطمة وفضة إن شفي الحسنان، فإن علياً والزهراء وفضة يصومون لله تعالى ثلاثة أيام.

وبعد شفاء الحسنين صام أهل البيت (ع).

وعند غروب شمس اليوم الأول طرق الباب عليهم مسكين يشكو جوعه، فأعطوه ما عندهم من خبز الشعير.

وفي اليوم الثاني استطعمهم يتيم فأطعموه..

وفي ثالث أيام النذر سألهم أسير فقدموا له طعامهم وهكذا بقي أهل البيت (ع) ثلاثة أيام لم يذوقوا فيها غير الماء، فأنزل الله فيهم هذه الآيات الكريمة إعظاماً لشأنهم وإكبار لعملهم[1] ليكونوا القدوة وليكونوا المثال.

٤ - ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الحَرَامِ كَمَنْ أَمَنَ

(١) يراجع الزمخشري في كشافه ج ٢ / والواحدي في أسباب النزول / ومجمع البيان للطبرسي في تفسير سورة الدهر / والحافظ محمد بن جرير الطبري كما في الكفاية / وابن عبد ربه في العقد الفريد ج / ٣ ص ٤٢ - ٤٧ / والحاكم النيسابوري ذكره في مناقب فاطمة (ع) كما في الكفاية / وأبو إسحاق التعلبي في تفسيره «الكشف والبيان» / والألوسي في روح المعاني / والطبري في الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٧ / نقلاً عن الغدير للشيخ الأميني ج ٣ ص ١٠٧ - ١١١.

بـالله وَاليوْم الآخِرِ وَجَاهَـد فِي سَبِيـل الله لاَ يَسْتـونَ عِنْـدَ الله وَالله لا يَهْدي الْقَوْمَ الظَّالِمينَ﴾.

(التوبة / ١٩)

نـزلت هـذه الآيـة عنـدمـا تفـاخـر طلحـة بن شيبـة والعبـاس بن عبـد المـطلب: إذ قـال طلحـة: إنـا أولى النـاس بـالبيت لأن المفتـاح بيدي!

وقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليهـا وفي هذه الأثناء مرّ عليّ بهما وسألهما: بم يفتخران. فذكرا له مقالاً.

فقال علي (ع): أنا أوتيت منذ صغري ما لم تأتيا.

فقالا وما ذاك؟

فقال (ع): لقد صليت قبل الناس وأنا صاحب الجهاد فأنـزل الله تعالى الآية المذكورة في الثناء على ما افتخر به علي (ع)[1].

وإذا كـان القرآن الكـريم يثني هذا الثنـاء الجميل على علي (ع) فتعال معي إلى السنة الشريفة لنقرأ شيئاً منها في هذا الصدد:

١ ـ قال رسول الله (ص): أنا مدينة العلم وعلي بابها[2].

٢ ـ وقـال (ص): «أنت مني بمنزلـة هارون من مـوسى إلا أنه لا

---

(١) تفسير الطبري عن أنس ج ١٠ ص ٥٩ / وأسبـاب النـزول للواحـدي ص ١٨٢ / والقرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ / والرازي في تفسيره ج ٤ ص ٤٢٢ / والخازن في تفسيـره ج ٢ ص ٢٢١ / وأبو البـركات النسفي ج ٢ ص ٢٢١ / والـدر المنثور للسيوطي ج ٣ ص ٢١٨ / وغيرهم مع اختلاف في التفاصيل والألفاظ.

(٢) مستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٦ / ومناقب أحمد بن حنبل وأبـو عيسى الترمـذي في جامعة الصحيـح / وكنز العمـال ج ٦ ص ٤٠١ / وأسد الغـابة ج ٤ ص ٢٢ / والخـطيب البغـدادي في تـاريخـه ج ٤ ص ٣٤٨: نقـلاً عن فضـائـل الخمسـة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها.

نبي بعدي»[1].

٣ ـ وقال (ص): مخاطباً علياً (ع) «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»[2].

٤ ـ وقال (ص) يوم المواخاة ـ بين المهاجرين والأنصار مخاطباً علياً (ع): أنت أخي وأنا أخوك فإن ذكرك أحد فقل أنا عبد الله وأخو رسوله لا يدعيهما بعدك إلا كذاب»[3].

هذه طائفة من النصوص الخاصة بالثناء على علي (ع) ومن شاء المزيد فليراجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة وينابيع المودة ومسند أحمد بن حنبل وفضائل أمير المؤمنين وأمانته من دلائل الصدق وغيرها.

أما النصوص القاضية بوجوب التزام علي (ع) إماماً وقائداً في دنيا المسلمين فنذكر منها ما يلي: ـ

من فضائل الامام علي (ع):

أ ـ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ .

(المائدة / ٥٥)

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٧٤ / ومسند أبي داود ج ٢ ص ٢٨ والبخاري في باب غزوة تبوك ومسلم الترمذي وغير هؤلاء نقلاً عن المراجعات ص ١٣٣ ـ ص ١٣٦.

(٢) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٢٩ / وأحمد بن حنبل ج ٦ ص ٢٩٢ / والنسائي ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٢٩ وغيرهم راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٢٠٧ وغيره.

(٣) صحيح ابن ماجة وصحيح الترمذي ج ٢ ص ٢٩٩/ والنسائي في الخصائص ص ٣ و ١٨ ومستدرك الصحيحين ج ٣ ص ١٤/ ومسند أحمد بن حنبل ج ١ ص ١٥٩ وغيرها مع اختلاف في الألفاظ يسير.

قـال المفسـرون إن الآيـة الكـريمـة نـزلت في علي بن أبي طالب (ع)[1] فأكدت وجوب الإلتزام به إماماً ومرجعاً فكـرياً واجتمـاعياً وسيـاسياً لـلأمة، وقـد كـان سبب نـزولهـا حين تصـدق علي (ع) على مسكين بخاتمه أثناء ركوعه، فالآيـة إنما نـزلت بهذا الصـدد وهي تؤكد في ذات الوقت إمامة علي (ع)

ب. خطبة الغدير:

وهي البيان الذي وجهـه الرسـول (ص) إلى المسلمين في غديـر خم في آخر حجة له لبيت الله، فعن البراء بن عازب قال:

«أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه (وآلـه) وسلم في السنة التي حج، فنزل في بعض الطريق، فآمر: الصلاة جـامعة، فـأخذ بيـد علي فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم»؟.

قالوا: بلى.

قال (ص): ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟

قالوا: بلى.

قـال (ص): «فهـذا ولي من أنـا مـولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عـاد من عاداه»[2] وفي لفظ أحمـد بن حنبل أن رسـول الله(ص)

---

(١) تفسيـر البيضاوي / ومجمـع البيان للطبـرسي / وأبو إسحـاق الثعلبي في تفسيره / والـطبري في تفسيـره ج ٦ ص ١٦٥ / والواحـدي في أسبـاب النـزول ص ١٤٨ / والخـازن في تفسيـر ج ١ ص ٤٩٦ / والـرازي في تفسيـره ج ٣ ص ٤٣١ / وأبـو البـركات النفسي ج ١ ص ٤٩٦ / والنيسـابوري في تفسيـره ج ٣ ص ٤٦١ / وابن حجـر في الصـواعق ص ٢٥ وغيـرهـا نقـلاً عن: أعيـان الـشيعـة ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ ـ ص ١٣٤ وخلفاء الرسول الإثنا عشر ص ١٠٣ وما بعدها.

(٢) اللفظ لصحيح ابن ماجة ص ١٢.

قـال (من كنت مـولاه فعلي مـولاه، اللهم وال من والاه وعـاد مـن عاداه»[1].

ج: قـال رسـول الله (ص) «علي مـع الحق والحق مـع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[2].

وفي حديث آخر لرسول الله (ص) يخاطب به عمار بن ياسـر (ره) جـاء فيه «. . وإن سلك النـاس كلهم وادياً وسلك علي واديـاً فأسلك وادياً سلكه علي وخلّ الناس طراً. . »[3].

د ـ وقال (ص):

«لكل نبي وصي ووارث وأن علياً وصي ووارثي[4]»

---

(1) مسند ابن حنبل ج ٤ ص ٢٨١، فقد نص عليه قائلاً رواه ثلاثون صحابياً، وأخرجه أيضاً النسائي في خصائص علي بن أبي طالب بعـدة طرق والترمذي والـطبراني / عن زيد بن أرقم والفخر الرازي في تفسير آيـة «يا أيهـا الرسـول بلغ ما أنـزل إليك من ربـك» وكنز العمـال ج ١ ص ٤٨ / ومستدرك الصحيحين وسـواهم. نقـلاً عن كتاب الغدير تأليف العلامة الأميني ـ ره ـ ج ١.

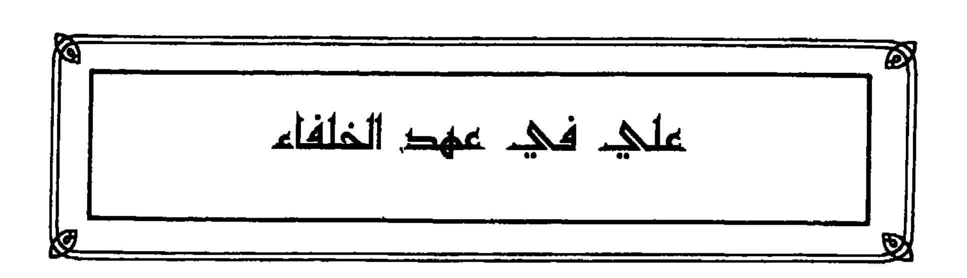
(٢) تـاريخ البغـدادي ج ١٤ ص ٣٢١ / والهيثمي في مجمعـه ج ٧ ص ٢٣٥ / وكنـز العمال ج ٦ ص ١٥٧ / وتفسير الـرازي ج ١ ص ١١١ / وغيرهم مـع اختلاف في الألفاظ. نقلاً عن علي والوصية ص ١١٣.

(٣) تـاريخ الخـطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٨٦ / والهيثمي في مجمـعه [illegible] ص ٢٣٦ وكنز العمال ج ٦ ص ١٥٥ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٤) ينـابيع المـودة سليمان الحنفي «بـاب عهد النبي لعلي وجعله وصيـاً» والـذهبي في ميزان الإعتدال والسيوطي في اللئالىء والديلمي في كنوز الدقائق ومنـاقب أحمد بن حنبـل وكنز العمـال ج ٦ ص ١٥٤ والمعجم الكبير للطبـراني والمحب الطبـري في الذخائر وغيرهـم نقلاً عن علي والوصية لنجم الدين العسكري ١٩٠.

هذا غيض من فيض من النصوص الإسلامية الموثوقة المجمع على صحتها، ووثاقتها من جميع المسلمين[1].

(1) «ومن شاء المزيد فليراجع ينابيع المودة / للشيخ القندوزي الحنفي والفصول المهمة لابن الضباغ المالكي وفضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروز أبادي ومسند أحمد بن حنبل وكتاب المراجعات للسيد عبد الحسين شرف الدين وعلي والوصية للشيخ نجم الدين العسكري وغيرها.



علي في عهد الخلفاء

... فاضت نفس رسول الله (ص) في حجر علي (ع)[1] ورحل (ص) إلى ربه الأعلى، وهو قلق على مستقبل الرسالة والأمة، كما يجسد ذلك بقوة قوله (ص) عند زيارته لقبور المؤمنين في البقيع في بداية مرضه الذي قضى فيه «السلام عليكم يا أهل القبور، ليهنئكم ما أصبحتم فيه، مما فيه الناس، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها..»[2].

وتأكيده المستمر على ضرورة التزام الثقلين: كتاب الله تعالى والعترة الطاهرة[3].

وطلبه في آخر ساعة من حياته أن يؤتى بدواة وكتف ليكتب

---

(١) مناقب الخوارزمي عن عائشة ومسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٠ / وذخائر العقبي للمحب الطبري ص ٧٣ وغيرها يراجع علي والوصية ص ٢٠٦ ـ ٢١١.

(٢) أخرجه النسائي وأبو داود وابن ماجة وأحمد بن حنبل في مسنده.

(٣) أخرجه الترمذي برقم ٨٧٤ من أحاديث كنز العمال ج ١ ص ٤٤ ومسند ابن حنبل ج ٥ ص ١٨٢ وص ١٨٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٨ وغيرها.

للأمة كتاباً لن تضل بعده أبداً[1].

إلى غير ذلك من مصاديق توجسه وقلقه (ص) على مستقبل المسيرة الإسلامية، بالرغم من احتياطه لتحصين الأمة وتجنيبها من الوقوع في الفتنة.

وما أن فاضت نفس رسول الله (ص) واشتغل علي (ع) وأهل البيت بتجهيزه من أجل مواراة جسده الطاهر في مثواه الأخير، حتى عقدت الأنصار وبعض المهاجرين اجتماعاً في سقيفة بني ساعدة لتنصيب من يخلف النبي (ص) في قيادة المسلمين.

وبعد مناقشات حادة وطويلة سادها جو من التوتر والقلق والعنف والخلاف بادر عمر بن الخطاب إلى بيعة أبي بكر بالخلافة[2] وطلب من الحاضرين ذلك، ولم يكن علي (ع) على علم بما حدث، ولكن النبأ قد انساب إلى مسامعه من خلال الضجيج الذي أحدثه خروج القوم من السقيفة، وهم في طريق توجههم للمسجد النبوي:

وحتى تلك الساعة ما زال علي وأهل البيت (ع) مشغولين بتجهيز فقيد الأمة العظيم رسول الله (ص) إذ ظل (ص) جثمانه الطاهر ثلاثة أيام[3] دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه والصلاة عليه.

ولعدم قناعة الإمامة (ع) بما جرى ظل مؤمناً بحقه في الخلافة واعتزل الناس، وما هم فيه ستة شهور، ولم يسمع له صوت في ما

(١) أخرجه البخاري ج ١ كتاب العلم ص ٢١ ومسلم في آخر الوصايا من صحيحه ج ٣ ص ٢٥٩ / وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ وغيرهم.

(٢) راجع صحيح البخاري ج ٤ ص ١٩٤ وتراجع السقيفة / للشيخ محمد رضا المظفر ونظام الحكم والإدارة في الإسلام / لمحمد مهدي شمس الدين للتفاصيل.

(٣) تاريخ ابن كثير ج ٥ ص ٢٧١ / وتاريخ أبي الفداء ج ١ ص ١٥٢، نقلاً عن الغدير ج ٧ ص ٧٥.

يسمى بحروب الردة ولا سواها[1].

ولقد استجدت أمور وأحداث خطيرة تتهدد الإسلام وأمته بالفناء، نقد قوي أمر المتنبئين بعد وفاة رسول الله (ص) واشتد خطرهم في الجزيرة العربية من أمثال: مسيلمة الكذاب، وطلحة ابن خويلد الأفاك وسجاح بنت الحرث الدجالة وغيرهم وصار وجودهم يشكل خطراً حقيقياً على الدولة الإسلامية.

واشتد ساعد المنافقين وقويت شوكتهم في داخل المدينة وكان الرومان والفرس للمسلمين بالمرصاد[2].

هذا عدا ظهور التكتلات السياسية في المجتمع الإسلامي على أثر بيعة السقيفة.

ولقد تعامل الإمام (ع) مع الخلافة حسب ما تحكم به المصلحة الإسلامية حفظاً للإسلام وحماية للجامعة الإسلامية من التمزق والضياع، وتحقيقاً للمصالح العليا الإسلامية التي جاهد من أجلها.

وللإمام علي (ع) كتاب جاء فيه ـ بهذا الصدد ـ ما نصه «.. فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة به عليّ أعظم من فوت ولا يتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل، يزول منها ما كان، كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه»[3].

---

(١) السقيفة ص ١٦٠ ط ٤ / ١٩٧٣ بيروت.

(٢) المراجعات / للحجة السيد شرف الدين ص ٣٠٢.

(٣) من كتاب له إلى أهل مصر مع مالك الأشتر حين ولاه إمارتها ص ٤٥١ من نهج البلاغة تبويب الدكتور صبحي الصالح ط ١ ١٩٦٧ بيروت.

بيد أن صوت علي (ع) كان يعلو عندما يستشار ويجهر عندما يستفتي، وقد تصدى - في هذا المضمار - لتوجيه الحياة الإسلامية، وفقاً لما تقتضيه رسالة الله تعالى في الحقول التشريعية والتنفيذية والقضائية.

ومن أجل ذلك فإن الباحث التاريخي في حياة الإمام (ع) لا يلبث إلا أن يلتقي مع مئات المواقف والأحداث - في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان التي لا تجد غير علي (ع) مدبراً لها ومعالجاً وقاضياً بأمر الشريعة فيها.

والخلفاء الثلاثة لم يروا بدأ من استشارته إذا التبست عليهم الأمور، وهكذا تجده - مرة - مرشداً إلى الحكم الإسلامي الصحيح في أمر ما ومرة تجده قاضياً في شأن من شؤون الأمة، وأخرى موجهاً للحاكم الوجهة التي تحقق المصلحة الإسلامية العليا.

وبمقدورنا أن نلمس دوره الرسالي ذلك إذا طرحنا بعض مفردات منهجه المتبني أيام الخلفاء الذين سبقوه.

أ- في خلافة أبي بكر:

١ - فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدموا وأخروا، ولم يقطعوا برأي، فأستشار علياً (ع) في الأمر فقال (ع) إن فعلت ظفرت.

فقال أبو بكر: بشرت بخير.

وأمر الناس بالخروج بعد أن أمر عليهم خالد بن سعيد[1].

٢ - أراد أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر. . .

---

(١) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١١١ - نقلاً عن علي والخلفاء للعسكري ص ٦٢.

فقـال الرجـل: إني شربتهـا ولا علم لي بتحـريمها فـأرسل إلى الإمام يسأله عن ذلك فقال (ع): مُر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان بـه على المهاجـرين والأنصار وينشـدانهم هل فيهم أحـد تلا عليـه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله (ص)، فإن شهـد بذلـك رجلان منهم فـأقم الحد عليـه، وإن لم يشهـد أحـد بـذلـك، فـاستتبـه وخـلِّ سبيله».

ففعل الخليفة ذلك، فعلم صدق الرجل فخلى سبيله[1].

٣ ـ عن محمد المنكدر أن خالد بن الوليد كتب إلى الخليفة أبي بكر أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب، ينكح كما تنكح المرأة، وأن أبا بكر جمـع لذلـك ناسـاً من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم وكان فيهم علي بن أبي طالب أشدهم يومئذ قولاً، فقال:

إن هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة ـ يعني قوم لوط ـ فصنع الله بها ما قـد علمتم، أرى أن تحرقـوه بالنـار، فكتب أبو بكر بذلك إلى ابن الوليد[2].

٤ ـ قدم جاثليق النصـاري يصحبه مـائة من قـومه فسـأل أبا بكـر أسئلة، فـدعا عليـاً (ع) فأجـابه عنهـا، ونكتفي منها بسـؤال واحد من أسئلة الجاثليق: ـ أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى!

فـدعا علي (ع) بنـار وحطب، وأضرمـه ، فلمـا اشتعلت قـال أين وجه هذه النار؟

قال الجاثليق: هي وجه مع جميع حدودها.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٧٨ وبحار الأنوار ج ٤٠ عن الكافي.

(٢) كنز العمال ج ٣ ص ٩٩، نقلاً عن علي والخلفاء ص ٦٣.

فقال علي (ع): هذه النار مدبرة مصنوعة، لا يعرف وجهها وخالقها ولا يشبهها، ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فتم وجه الله لا تخفى على ربنا خافية[1].

٥ ـ وأرسل ملك الروم رسولاً إلى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولا يخاف الله، ولا يركع ولا يسجد ويأكل الميتة والدم، ويشهد بما لم يرَ ويحب الفتنة ويبغض الحق، فأخبر بذلك علياً (ع) فقال:

هذا رجل من أولياء الله: لا يرجو الجنة ولا يخاف النار، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظلمه، وإنما يخاف من عدله، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة، ويأكل الجراد والسمك، ويأكل الكبد، ويحب المال والولد (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما، ويكره الموت وهو حق[2].

هذه بعض مصاديق اهتماماته بمسيرة الإسلام التاريخية في عهد أبي بكر.

ب ـ في خلافة عمر بن الخطاب:

١ ـ حين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الإمام (ع) في الأمر، فنصحه الإمام بألا يقود الجيش بنفسه مبيناً علة ذلك قائلاً: «.. فابعث إليهم رجلاً مجرباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة، فإن أظهره الله فذاك ما تحب، وإن تكن الأخرى كنت ردءاً للناس، ومثابةً

(١) علي والخلفاء ص ٦٠ نقلاً عن التستري / قضاء أمير المؤمنين ص ٦٦ ط /١ سنة ١٣٦٩ هـ النجف الأشرف.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٨٠.

للمسلمين»[1].

٢ ـ ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير ـ من البحرين ـ فقسمه عمر بين المسلمين، ففضل منه شيء، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتاهم بأمره قائلاً: ما ترون في فضلٍ، فضلّ عندنا من هذا المال؟

قالوا: يا أمير المؤمنين إنا شغلناك بولاية أمورنا من أهلك وتجارتك، وضيعتك، فهولك.

فالتفت عمر إلى علي قائلاً: ما تقول أنت؟

قال الإمام (ع): قد أشاروا عليك.

قال الخليفة: فقل أنت؟

قال (ع): لِمَ تجعل يقينك ظناً، ثم حدثه بواقعة مشابهة في عهد رسول الله (ص).

وأخيراً أشار عليه الإمام (ع) بتوزيعه على الفقراء، قائلاً، «أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضه على فقراء المسلمين».

فقال عمر: صدقت والله[2].

٣ ـ «عن ابن عباس قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول أن نزك هذا المال في جوف الكعبة لأخذه وأقسمه في سبيل الله وفي سبيل

---

(١) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح ط ١ ص١٩٢.
احفز: ادفع وسق، أهل البلاء: أهل المهارة في الحرب،
مثابة: مرجع.

(٢) علي والخلفاء / نجم الدين العسكري ص٨٣، نقلاً عن أحمد بن حنبل في المسند ج ١ ص ٩٤ وكنز العمال ج ٤ ص ٣٩.

الخير وعلي بن أبي طالب يسمع ما يقول، فقال عمر: ما تقول يا ابن أبي طالب بالله لئن شجعتني عليه لأفعلنّ؟

فقال علي: أتجعله فينا، وصاحبه رجل يأتي في آخر الزمان[1] فاقتنع عمر بضرورة عدم التصرف بحلي الكعبة.

٤ ـ بعث أبو عبيدة بن الجراح وبرة بن رومان الكلبي إلى عمر بن الخطاب: إن الناس قد تتابعوا في شرب الخمر بالشام، وقد ضربت أربعين ولا أراها تغني عنهم شيئاً، فاستشار عمر الناس. .

فقال علي (ع): أرى أن تجعلها بمنزلة حد القذف «ثمانون جلدة».

إن الرجل إذا شرب هذي، وإذا هذي، افترى. فجلدها عمر بالمدينة، وكتب إلى أبي عبيدة. . فجلدها بالشام[2].

٥ ـ وقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة، فلما أصبح قال للناس: أرأيتم أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة. فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟

قالوا: إنما أنت إمام.

فقال علي بن أبي طالب: «ليس ذاك لك، إذن يقام عليك الحد، إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء» ثم إن عمر ترك الناس ما شاء الله، ثم سألهم: فقال القوم مثل مقالتهم الأولى. . وقال علي (ع) مثل مقالته.

---

(١) كنز العمال جـ ٧ ص ١٤٧ وصحيح البخاري ٧٢٧/١٩ وغيره نقلاً عن علي والخلفاء ص ٨٧.

(٢) سنن البيهقي وتاريخ الطبري وكنز العمال ج ٣ ص ١٠١ وشرح الموطأ للزرقاني ج ٤ ص ٢٥ وغيره. نقلاً عن علي والخلفاء ص ٩٠.

فأخذ عمر بقول الإمام[1].

٦ ـ عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب سأل الناس قائلاً: كم يتزوج المملوك؟ وقال لعلي: إياك أعني يا صاحب المعافري ـ رداء كان عليه ـ

فقال الإمام (ع) اثنتين[2].

٧ ـ بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو إلى قيسارية، فقال له معاذ بن جبل: اكتب إلى أمير المؤمنين عمر، فحيث أمرك فامتثله، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر، فلما قرأ الكتاب، استشار المسلمين بالأمر.

فقال علي (ع): مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس، فإذا فتح الله بيت المقدس، صرف وجهه إلى قيسارية، فإنها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى، كذا أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

قال عمر: صدق المصطفى صلى الله عليه (وآله) وسلم، وصدقت أنت يا أبا الحسن.. ثم كتب إلى أبي عبيدة بالذي أشار به علي (ع)[3].

٨ ـ بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر، شاور

---

(١) كنز العمال ج ٣ ص ٩٦ والفتوحات الإسلامية ج ٢ ص ٤٨٢، نقلاً عن علي والخلفاء ص ٩٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب. ج ٢ ص ١٩١، وعلي والخلفاء ص ١٠٢.

(٣) علي والخلفاء ص ١٣٣ نقلاً عن ثمرات الأوراق في المحاضرات لابن الحجة الحموي الحنفي. ج ٢ ص ١٥ ط ١٣٦٨.

ابن الخطاب أصحاب رسول الله (ص) في سواد الكوفة . .

فقال بعضهم: تقسمها بيننا، ثم شاور علياً (ع) في الأمر.

فقال أن قسمتها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء، ولكن تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا فقال عمر لعلي: وفقك الله . . . هذا الرأي[1]!

٩ ـ عن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب. قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟.

فقال علي (ع): من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله، وترك أرض الشرك، ففعله عمر[2]، وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

هذه بعض ملامح دور الإمم علي (ع) الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

ج ـ في عهد عثمان:

١ ـ تزوج شيخ كبير بكراً فحملت، فادعى الرجل أنه لم يصل إليها، فسأل عثمان المرأة: هل افتضك الشيخ؟

قالت: لا فأمر بإقامة الحد عليها.

فقال الإمام (ع): إن للمرأة سمين: سم الحيض وسم البول، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم الحيض، فحملت منه،

---

(١) علي والخلفاء ص ٢٣٩.

(٢) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٥٣، وفي تاريخ اليعقوبي مثله وكنز العمال ومستدرك الحاكم والكامل لابن الأثير نقلاً عن علي والخلفاء ص ٢٤٠.

فقال الرجل: قد كنت أنزل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالإفتضاض.

فقال الإمام علي (ع): الحمل له، والولد له، وأرى عقوبته على الإنكار له»[1].

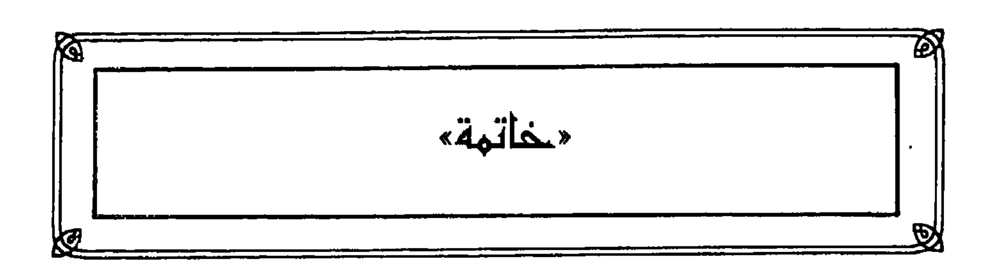
٢ ـ عن موطأ مالك عن بعجة بن بدر الجهني: أنه أتى ـ عثمان ـ بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهم برجمها فقال علي (ع): إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول: «وحمله وفصاله ثلاثون شهراً» ثم قال «والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد ين يتم الرضاعة».

فحولان مدة الرضاعة وستة أشهر مدة الحمل.

فقال عثمان: ردوها[2].

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١٩٢ وعجائب أحكام أمير المؤمنين / محمد ابن علي القمي (ره) ص ٤٣.
(٢) المناقب ص ١٩٢ وابن كثير في تفسيره ج ٤ ص ٥٧، والبيهقي في سننه ج ٧ ص ٤٤٢.





«خاتمة»

هــذه أمثلة يسيـرة ممــا كــان ينهض الإمــام علي (ع) بــه من مسؤوليات عظيمـة في عهد الخلفـاء، وكان دافعـه في ذلك الإخـلاص للرسـالة وحفظ الـوحـدة الإسـلامية وحمـايـة المسيـرة الإسـلاميـة من الإنحراف.

ولقد تنبه الخليفة الثاني إلى أهمية ما يقوم به علي (ع) في هـذا المضمـار، فصرح مـراراً مشيداً بـذلك الفضـل، ومنوهـاً بـأهميتـه في مسيرة الخلافة كقولـه: «أعوذ بـالله أن أعيش في قوم لست فيهم يـا أبا الحسن»[1]، وغير ذلك.

---

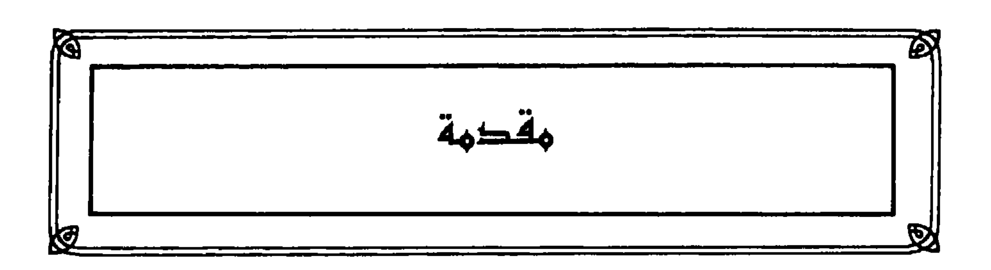
(١) الـدر المنثـور للسيـوطي ج ٣ ص ١٤٤ وسيـرة عمـر لابن الجـوزي ص ١٠٦ والفتـوحات الإسـلامية لـدحلان ج ٢ ص ٤٨٦ وغيـرهـا، نقـلاً عن علي والخلفـاء للشيخ نجم الدين العسكري ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشـوب ج ٢ والغديـر ج ٦ وج٧، وعجـائب أحكـام أميـر المؤمنين للمفسـر الجليـل محمـد بن إبـراهيم القمي.



القسم الثاني

«دعوني
والتمسوا غيري»





مقدمة

. . . في هذا الجزء من دراستنا لحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)، ينصب البحث على دراسة أدق المراحل، التي عاشها الإمام (ع)، بعد رسول الله (ص):

وهي مرحلة إضطلاعه، بمسؤولية القيادة المباشرة للأمة الإسلامية، في جميع شؤونها الحياتية.

فقد اتسمت هذه المرحلة بأحداث غاية في الأهمية، على الصعيد الفكري، والإجتماعي، والسياسي، ـ كما سنرى.

والتاريخ الإسلامي، قد شهد عبر السنوات الخمس التي قضاها علي (ع) حاكماً للمسلمين، لونين من الأحداث:

أحدهما: يتعلق بما سجله الإمام (ع) على صفحات التاريخ الإنساني، من القيم الرفيعة، التي اتسمت بها سياسته الفاضلة، التي تبناها من أجل وضع حدود الله تعالى، وشريعته العظيمة، موضع التنفيذ، كاملة لا نقص فيها، ولا تحايل عليها، ولا تفريط، ولا أنصاف حلول، وعلى شتى الأصعدة الحياتية . .

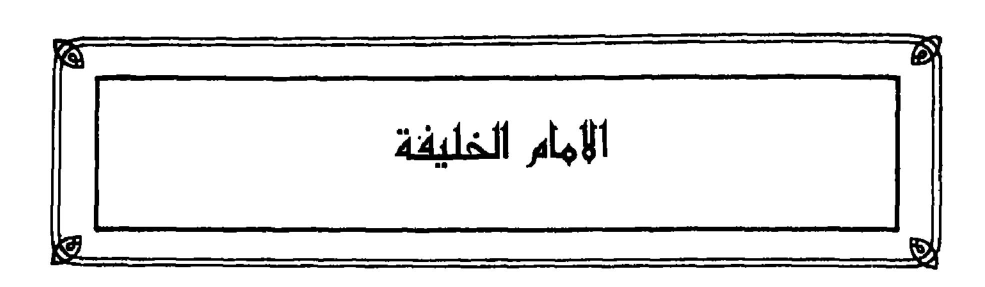
وثانيهما: ما يتعلق بردود الفعل السياسية التي قام بها بعض الناس والتي سجلها التاريخ الإسلامي.

وفي هذه الدراسة التي بين يديك ـ أيها القارىء العزيز ـ ستقرأ شطراً من سيرة أمير المؤمنين (ع)، وهو يعيد لجهاز الدولة مسؤولياته الحقيقية، في حماية رسالة الله تعالى، وإقامة حدودها في الحياة، والعمل على كل ما من شأنه توفير السعادة للإنسان، وبناء شخصيته وتحصينها..

وتقرأ عن علي (ع) كذلك، دوره في التصدي، سواء للذين نكثوا أو مرقوا أو قسطوا..

ومن خلال هذا الشطر من حياة الإمام أمير المؤمنين (ع)، ستقرأ شواهد من بنود عدالته الإجتماعية، التي جسدها في الواقع الإجتماعي، ومواقفه الإنسانية وشدة تمسكه بشريعة الله تبارك وتعالى.

والأمر الذي نسأل الله تعالى أن يوفق أمتنا الإسلامية للأخذ به، في حياتها العملية، هو الإلتزام الكامل بكتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، كما جسدهما عملاً الإمام علي بن أبي طالب (ع).



الامام الخليفة

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان أجمعت الأمة على بيعة الإمام علي (ع) خليفة لها، وقد اجتاحت النفوس موجة من العاطفة نحوه، ولكنه رد الأمة بقوله: «..دعوني والتمسوا غيري»[1].

إن علياً أبى أن يكون أسيراً للعاطفة، فلعل نقمة بعض الناس على عثمان هي التي أججت نحوه العاطفة وشدت إليه التيار، وهو يريد من الأمة إقراراً إرادياً لإمامته..

ثم أن علياً ليس ممن تغريه المناصب وتستهويه الكراسي حتى يستجيب فور إقبال الناس عليه، فإن الأمرة كلها لا تساوي لديه جناح بعوضة. بل الدنيا كلها عنده كعفطة عنز ـ على حد تعبير له ـ والقيادة لا تساوي عنده شيئاً مذكوراً، إن لم يقم من خلالها الحق ويبطل الباطل.

ولهذا لم يستجب لضغط الجمهور في باديء الأمر، قبل وضعهم أمام اختبار ليتأكد من مدى قدرة الناس على تلقي مناهجه والإستجابة

---

(١) نهج البلاغة ص١٣٦، تبويب الدكتور صبحي الصالح.

لخططه إذا تسلم زمام الأمر.

فبالرغم من أن العاصمة المقدسة «المدينة المنورة» قد أصرت على اختياره على شكل تظاهرات حقيقية وتجمعات مكثفة حتى صارت المطالبة بقيادته إجماعية ولا جماعية، فإنه (ع) بقي عند موقفه المتريث، بيد أن إصرار الأمة علي بيعته جعلته يطرح عليها شروطه لقبول الخلافة، فإن بايعته الأمة وفقاً لما يملي من شروط استجاب هو لمطلبها في استخلافه..

وحين أذاع بيانه المتضمن لشروطه «.. واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب..»[1].

سارعت الأمة مذعنة لشروطه، ومدت يد البيعة على الطاعة إليه، فلبى مطلبها ليواجه مسؤولياته القيادة في الأمة الإسلامية على الصعيد الفكري والعملي...

وقد كانت من أولى مهامه (ع) أن يزيل صور الإنحراف التي طرأت على الحياة الإسلامية، وأن يعود بالأمة إلى أصالة المنهج الإلهي.

ومن أجل ذلك كان لا بد أن يسير وفق منهاج محدد وشامل يلزم ولاته بتطبيقه.. وقد انصبّ منهاج حكومته على مواجهة المشاكل في الميادين الآتية.

١ ـ الميدان السياسي:

لقد حدّد الإمام (ع) مواصفات ولاة الأمر وموظفي الدولة الذين يرشحهم الإسلام لإدارة شؤون الأمة الإسلامية ببيان أصدره (ع) جاء فيه:

---

(١) المصدر السابق والصفحة ذاتها.

«.. أنه لا ينبغي أن يكون الوالي علي الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ وماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة..»[1].

في ضوء هذا التحديد الموضوعي لصفات كادر الموظفين الذين يقرهم الإسلام عمد الإمام علي (ع) إلى الإستغناء عن خدمات قسم من الولاة الذين كانوا يتولون أقاليم الدولة الإسلامية.. لأن علياً (ع) لو ساوم ـ كما يريد بعض المؤرخين ـ لتعذر على الأجيال المسلمة التماس الصورة الحقيقية للشريعة التي أبعث الله بها رسوله العظيم صلى الله عليه وآله وسلم

٢ ـ الميدان الاقتصادي:

كما عمد الإمام علي (ع) إلى إصلاح الوضع السياسي والإداري كذلك فعل بالنسبة للوضع الإقتصادي فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور مباشرة إلى إلغاء طريقة توزيع المال التي اعتمدت فيما سبق.

فقد استبدل الإمام طريقة التمييز في العطاء بطريقة المساواة في التوزيع التي مارسها رسول الله (ص).

---

(١) نهج البلاغة رقم ١٣١ تبويب صبحي الصالح.
نهمته: شهوته الشديدة وحرصه المفرط.
الحائف: الجائر، الظالم.
الدول: المال، والحائف للدول معناه الذي يظلم في توزيع الأموال فيفضل جماعة على أخرى.
المقاطع: الحدود التي حددها الله تعالى.

فألغى الإمام (ع) كل أشكال التمييز في توزيع المال على الناس، مؤكداً أن التقوى والسابقية في الإسلام والجهاد، والصحبة للرسول (ص) أمور لا تمنح أصحابها مراتب أو مميزات في الدنيا، وإنما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة، ومن كان له قدم في ذلك، فالله تعالى يتولى جزاءه، أما في هذه الدنيا فإن الناس سواسية في الحقوق المالية وأمام القضاء الإسلامي وفي الواجبات والتكاليف.

وقد تضمن بيانه التالي هذه الأفكار الجليلة العادلة: «ألا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله يرى أنّ الفضل له على سواه لصحبته فإن الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله..

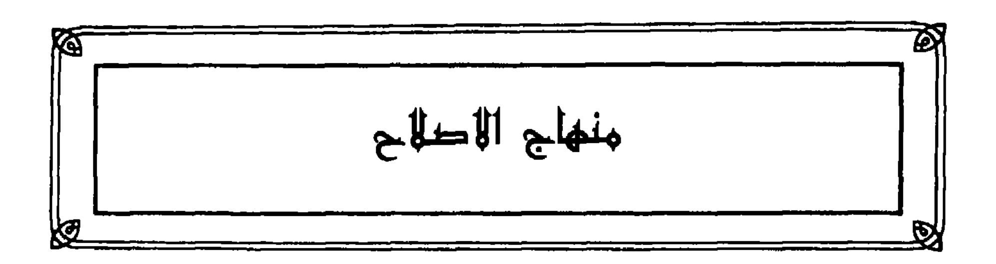
وأيما رجل استجاب لله وللرسول فصدق ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدنيا للمتقين أجراً ولا ثواباً، وما عند الله خير للأبرار..»[1].

وهكذا جسّد الإمام (ع) مفهوم التسوية في العطاء بين جميع الناس الذين يتمتعون بحق المواطنة الإسلامية دون تمييز لأي سبب من الأسباب.

هذه بعض ملامح العملية الإصلاحية التي قادها الإمام علي (ع) في شتى مرافق الحياة الإسلامية، في المال والحكم والإدارة وسواها.

---

(١) شرح نهج البلاغة لمحمد عبده ج ١ ص ٢٦٩.



منهاج الإصلاح

وضـع الإمام (ع) خـطته الإصـلاحية الشـاملة، وقد انصبّ جـلّ اهتمـام الإمام (ع) على إصـلاح شؤون الإدارة والإقتصاد والحكم كمـ قدمنا.

ومن خـلال ذلك العمـل الإصـلاحي الكبيـر حـظيت الأمـة عبـر مسيرتها الجديدة التي اختطها لهـا أمير المؤمنين (ع)، بمعـطيات جمـة ذات مردودات عظيمة لصالح الأمة والمسيرة بشكل عام، نذكر منها مـ يلي:

أولاً: استعانة الإمام (ع) بجهاز من الولاة والموظفين لإدارة دفـة الحيـاة الإسلاميـة يعدّ أفـراده نموذجـاً في مستواهم الـروحي والفكري والإلتـزامي: كعثمان بن حنيف، ومحمـد بن أبي بكر، ومـالك الأشتـر وسواهم.

على أن تلك النماذج الخيرة من الرجال، وإن كانوا في مستـوى لائق في الفكر والعمل والقدرة الإدارية والقيادية، إلا أن الإمام (ع) قد زودهم بخط هادية ومنـاهج راشـدة، يهتدون بهـا في حياتهم العمليـة، وفي علاقاتهم مع مختلف قطاعات الأمة التي يباشرون قيادتها.

فهو يلزم ولاته بالنصح لعباد الله، وإشاعة العدل بينهم ومعاملتم باللين والحب، والتجاوز عن كل مظاهر الإستعلاء التي يعري بها المنصب غالباً والحيلولة دون تأثير ذوي النفوذ الإجتماعي في مسيرة العدالة الإسلامية على حساب القطاعات الإجتماعية الأخرى، ونحو ذلك من مستلزمات إشاعة العدل وإقامة الحق بين الناس.

وهذه نماذج من خططه في هذا المضمار:

«.. فأخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم، ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإن الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة، والظاهرة والمستورة، فإن يعذب فأنتم أظلم، وأن يعف فهو أكرم..»[1].

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشياطين، واعلم إن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار»[2].

هذه صورة من توجيهات الإمام (ع) التي ألزم ولاته بالعمل على ضوئها في حياتهم العملية.

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن الإمام (ع) بالرغم من اهتمامه

---

(١) من عهده (ع) إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، نهج البلاغة ص ٣٨٣ تبويب د. صبح الصالح.
آس = ساو بينهم. حيفك لهم = ظلمك من أجلهم.

(١) وصيته إلى عبد الله بن عباس حين استخلفه على البصرة نهج البلاغة، د. صبحي الصالح رقم ٧٦.
سع الناس = أشملهم برعايتك في كل جانب من جوانب الحياة.
طيرة = طيش وخفة.

بانتقاء العناصر الكفوءة والورعة فإنه كان يحرص على الإحاطة بأساليبهم في معاملة الأمة من خلال مراكزهم القيادية باستعانته بجهاز من الرقباء والعيون ليرى مدى طاعة الولاة وتنفيذهم لقواعد العدالة الإسلامية، فإذا بدا من أحدهم خطأ أو تقصير، بادر الإمام إلى تقويم سلوكه بالوسائل التربوية تارة وبالتهديد أو بالعزل إذا لزم الأمر، وهذه نماذج من وسائله تلك: -

فقد بلغه أن عثمان بن حنيف (رض) واليه على البصرة دعاه بعض شخصيات أهل البصرة إلى مأدبة، فخشي الإمام (ع) أن تستميله تلك الوسائل أو سواها فينحرف عن خط العدالة الإسلامية المرسوم فيميل في أحكامه أو يجور في قضائه ومعاملته للأمة، فكتب إليه كتاباً جاء فيه: «أما بعد، يا ابن حنيف فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قوم، عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقتضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه، فالفظهُ وما أيقنت بطيب وجوهه، فنل منه..

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإن إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد..»[1].

---

(١) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح ص ٤١٦.
مأدبة طعام = طعام دعوة أو عرس.
يستطاب لك = يطلب لك طيبها.
الألوان = أصناف الطعام.
الجفان = جمع جفنة وهي القصعة.

وقد كتب إلى مصقلة الشيباني عـامله على (أردشير خـرّة) مهدداً ومتوعداً (بلغني عنك أمرٌ أن كنت فعلته، فقد أسخطت إلهك وعصيت أمـامك: إنـك تقسم فيء المسلمين الذي حـازته رمـاحهم وخيـولهم، وأريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من أعـراب قومـك، فوالـذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليّ هواناً، ولتخفَّنَّ عنديْ ميزاناً، فلا تستهن بحق ربك، ولا تطمـح دنياك بمحق دينـك، فتكون من الأخسرين أعمالاً»[1].

وكتب إلى أحد عماله يقول: «أما بعد فقد بلغني عنك أمـر، إن كنت فعلته فقد أسخـطت ربك، وعصيت إمـامك، وأخـزيت أمانتـك، بلغني أنك جردت الأرض فأخذت مـا تحت قدميـك، وأكلت ما تحت يديك، فأرفع إليَّ حسـابك، واعلم أن حسـاب الله أعظم من حسـاب الناس. . »[2].

وكما كان الإمام (ع) يخطط للولاة ويـزودهم بنصائحـه الهاديـة، كان يرسم الخطط كذلك لقادة جيـوشه، ويـوضح لهم معـالم الطريق، وما ينبغي عليهم فعله عند مواجهة العدو.

= العائل = المحتاج.
المجفو = مطرود (من الجفاء).
قضم = أكل بطرف أسنانه.
المقضم = المأكل.
الفظة = اطرحه، لا تأكله.
الطمر = الثوب البالي.
طعمه = مايطعمه ويفطر عليه.
قرص = رغيف خبز.
السداد = الإحتزاز من الخطأ.

(١) المرجع السابق ص ٤١٥ أعتمامك: اختارك وأصله أخذ العيمة: وهي خيار المال.
(٢) المرجع السابق ص ٤١٢ جردت الأرض: إشارة إلى الخيانة بتخريب الأراضي.

فكان (ع) ينهاهم عن البغي، ويأمرهم بعدم إثارة الحرب من جانبهم، وإنما ينبغي التسلح بالصبر وضبط النفس، وأن يكونوا في بداية المواجهة كما لو كانوا مدافعين فحسب، فإذا اعتدي عليهم فقد قامت الحجة لصد العدوان، فإذا قدر وانتصروا على عدوهم فلا يباح أن تحملهم نشوة الظفر على عدوهم إلى ملاحقة جنوده الهاربين من القتال، أو الذي لا يملك منهم سلاحاً يدافع به عن نفسه، كما لا يجوز قتل الجرحى، أو الإساءة إلى النساء، وأن بدأن الإساءة بسب أو شتم أو نحوه.

وهذه بعض وصاياه (ع) لجيوشه:

«.. لا تقاتلوهم حتى يبدؤوكم فإنكم بحمد الله على حجة وترككم إياهم حتى يبدؤوكم حجة أخرى لكم عليهم، فإذا كانت الهزيمة بإذن الله فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوراً[1] ولا تجهزوا على جريح، ولا تهيجوا النساء بأذى، وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم..»[2].

«.. ألا وإن لكم عندي ألا أحتجز دونكم سراً إلا في حرب، ولا أطوي دونكم أمراً إلا في حكم، ولا أوخر لكم حقاً عن محله، ولا أقف به دون مقطعه، وأن تكونوا عندي في الحق سواء، فإذا فعلت ذلك وجبت لله عليكم النعمة ولي عليكم الطاعة، وألّا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح وأن تخوضوا الغمرات إلى الحق..»[3].

وبالنظر للأهمية البالغة التي يحتلها جهاز جباية الأموال في

---

(١) المعور: الذي عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب.

(٢) نهج البلاغة، وصيته (ع) رقم ١٤ ص٣٧٣، د. صبحي الصالح.

(٣) نفس المصدر من كتاب له إلى أمراء جيشه رقم ٥٠ ص ٤٢٤.

الدولة الإسلامية حيث تشكل الحقوق العامة في ملكية الأفراد عنصراً هاماً من عناصر الإقتصاد الإسلامي، فإن حق الجماعة في الملكيات الخاصة يوفر ضمانة كبرى لمساعدة الدولة الإسلامية على تغطية نفقاتها الكبرى على الصعيد الإجتماعي والعسكري وغيرهما من جوانب الحياة العامة. . أقول بالنظر لأهمية جهاز الجباية هذا فقد أولاه الإمام (ع) عناية فائقة لا من أجل أن يجمع أكبر نصيب من المال أبداً، وإنما من أجل أن ينخرط ـ ذلك الجهاز ـ في مسيرة العدالة الإسلامية المثلى التي جسدها الإمام (ع) في حياة الناس. . فكان الإمام حريصاً على أن يلتزم موظفوا ذلك الجهاز بأقصى درجات العدل والفضيلة والنبل، والشعور بالمسؤولية فليست مهمتهم في نظر الإمام (ع) أن يجمعوا المال من أجل المال، وإنما ينبغي عليهم أن يلتزموا الحق في تعاملهم مع الأمة وأن يعكسوا عدالة الإسلام لمن يلتقون بهم من الناس، فلا ينبغي أن يغضبوا أحداً من الناس، ولا يسيؤوا معاملة أحد، ولا يضربوا إنساناً من أجل درهم مثلاً، ولا يجوز أن يعتدوا على مال امريء من المسلمين أو من غيرهم ممن يتمتع بحق التابعية للدولة الإسلامية.

. كما لا يجوز أبداً أن يبيعوا كسوة إنسان أو دابته من أجل استيفاء المال، ولا يحق لأحد الجباة أن يردع أحداً أو يستوفي أكثر من حق الله في ماله، ولا ينبغي أن يستعلي على الناس أو يبخل عليهم بالتحية أو اللطف والمرونة في معاملتهم إلى غير ذلك من وصاياه (ع).

وهذه صور من مناهجه في هذا المضمار:

«. . فإنكم خزان الرعية ووكلاء الأمة، وسفراء الأئمة ولا تحسموا أحداً عن حاجته ولا تحبسوه عن طلبته، ولا تبيعُنَّ للناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ولا دابة يعتملون عليها ولا عبداً، ولا

تضربنَّ أحداً سوطاً لمكـان درهم ولا تمسَّنَّ مال أحـد من الناس مصلٍّ ولا معاهد. . »[1].

« . . انـطلق على تقـوى الله وحـده لا شـريـك لـه، ولا تـروعَنَّ مسلماً ولا تجتازن عليـه كارهـاً، ولا تأخـذن منه أكثـر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فأنزل بمائهم من غير أن تخـالط أبياتهم، ثم امض إليهم بـالسكينة والـوقـار حتى تقـوم بينهم فتسلم عليهم، ولا تخـدج[2] بـالتحيـة لهم. ثم تقـول: عبـاد الله، أرسلني إليكم ولي الله وخليفتـه لآخذ منكم حق الله في أمـوالكم، فهـل لله في أمـوالكم من حق فتأدوه إلى وليه. . ؟»[3].

ثـانياً ـ تجسيـد المخطط الإسـلامي للعدالـة الإجتماعيـة بـأجلى صورة وأدق تفصيلاته.

إذا كانت جميع جوانب الجهاز الحكـومي في الدولـة الإسلاميـة قـد تنـاولتهـا يـد الإصـلاح، فحققت أرقى النمـاذج التي يصبـو إليهـا الإنسان، فإن الإمام (ع) قد خطا في سبيل تحقيق أفضل صورة للعدالة الإجتماعية وفقاً للتصورات الإسلامية التفصيلية.

فقد شهد المجتمع الإسلامي بجميع قطاعاته وقـواه عدالـة رائدة كالتي شهدها أيام رسول الله (ص) في منطلقاتها وأبعادها.

وفيما يلي شواهد من تلك التجربة التاريخية المشعة التي تفيـأت الأمة ظلالها:

---

(١) نهـج البلاغـة من كتاب لـه إلى أعمـالـه على الخـراج رقم ٥١ تبـويب د. صبحي الصالح.

(٢) لا تخدع بالتحية = لا تبخل بالسلام عليهم والسؤال عن أحوالهم.

(٣) نهج البلاغة كتاب لمن يستعمله على الصدقات رقم ٢٥.

أ. رفق وتعاهد:

فقد شهدت قطاعات الأمة جميعاً صوراً من التعاهد لأمرها والرفق بها ورعاية شؤونها، والتسوية في العطاء بين جميع حملة التابعية للدولة الإسلامية التي تجسدها هذه النصوص: «المال مال الله يقسم بينكم بالسوية لأفضل لأحد على أحد».

وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً»[1].

أقول إلى جانب هذا وذاك، شهدت الأمة التي قادها أمير المؤمنين (ع) بمختلف قطاعاتها من ألوان التدبير لشؤونها، والرعاية لأمورها، والحدب عليها ما حقق لها القوة والسعادة وهذه صور منها:

عن الحَكَم قال:

شهدت علياً، وأتي له بزقاق من عسل، فدعا اليتامى وقال: ذوقوا، والعقوا، حتى تمنيت أني يتيم، فقسمه بين الناس وبقي منه زق، فأمر أن يسقاه أهل المسجد»[2].

وعن هارون بن عنترة عن زاذان قال: انطلقت مع قنبر غلام علي (ع) فإذا هو يقول: قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً.

قال (ع): وما هو، ويحك!!

قال: قم معي..

فقام فانطلق به إلى بيته، وإذا بغرارة مملوءة ما جامات ذهباً

---

(١) روائع نهج البلاغة = جورج جرداق ص ١٦٣.
الخزامة = حلقة من شعر توضع في وترة أنف البعير يشد بها زمامه ويسهل قياده.
(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ١٣٦.

وفضه، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال.

فقال علي (ع): ويحك يا قنبر، لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة ثم سل سيفه، وضربها ضربات كثيرة، فانتشرت.. ثم دعا بالناس، فقال: اقسموه بالحصص، ثم قام إلى بيت المال، فقسم ما وجد فيه، ثم رأى في البيت إبراً ومسال فقال: ولتقسموا هذا..»[1].

وعن الحَكَم قال: إن علياً قسم فيهم الرمّان حتى أصاب مسجدهم سبع رمانات، وقال: أيها الناس أنه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها، ونستقلها إذا قسمناها، وإنا قد قسمنا كل شيء أتانا.

قال: وأتته صفائح فضة فكسرها، وقسمها بيننا.

وعن علي بن ربيعة قال: جاء ابن التياح إلى علي بن أبي طالب (ع) فقال: يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء.

فقال علي: الله أكبر، ثم قام متوكئاً على يد ابن التياح، فدخل بيت المال وهو يقول: -

هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه[2]

ثم نودي في الناس، فأعطى - علي - جميع ما في بيت المال وهو يقول: «يا بيضاء، ويا صفراء، غري غيري».

---

(١) شرح النهج تح / محمد أبو الفضل إبراهيم ط / ١٣٩٧٨ هـ ج ١، ص ١٩٨ و ١٩٩.

(٢) مثل يضرب، أراد به الإمام (ع) أنه لم يصب شيئاً من مال المسلمين بل وضعه في مواضعه. تذكره.

الخواص: سبط انب الجوزي ص ١١٧.

حتى لم يبق فيه درهم ولا دينار، ثم أمر بنضحه، فصلى فيه ركعتين (ع).

وكان لشدة حرص الإمام (ع) على الأمة لرفع غائلة الفقر والظلم عنها أنه التزم السير ـ عبر أيام خلافته عليها ـ وفقاً للنهج الآتي: «.. ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصفى هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا القز، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخير الأطعمة، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص، ولا عهد له بالشبع. أو أبيت مبطاناً، وحولي بطون غرثى، وأكباد حرى؟

أأقنع من نفسي بأن يقال هذا: أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر أو أكون أسوة لهم في جشوبة العيش؟»[1].

ب ـ رقابة دقيقة لوضع السوق:

ولقد كان الإمام علي (ع) حريصاً على تجسيد العدالة الإقتصادية في كافة مرافق الحياة الإنسانية ومن أجل ذلك فقد التزم خطة لمراقبة السوق من ناحية البيع والشراء وطبيعة ما يعرض للبيع، للحيلولة دون التطفيف في المكاييل والتلاعب بالأسعار أو الغش، فعن الإمام الباقر (ع) قال «كان أمير المؤمنين (ع) كل بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً، ومعه الدرة على عاتقه، وكان لها طرفان، وكانت تسمى السبيبة، فيقف على سوق فينادي:

يا معشر التجار قدموا الإستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن الكذب، واليمين، وتجافوا عن الظلم، وانصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا و«أوفوا الميكال والميزان

(١) نهج البلاغة من كتاب له إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥ ص ٤١٨.

بـالقسط، ولا تبخسـوا النـاس أشيـاءهم، ولا تـعثـوا فـي الأرض مفسدين»[1].

وعن أبي النوار قال:

رأيت علياً (ع) وقف على خياط، فقـال لـه: يـا خيـاط صلّب الخيط، ودقق الـدرز، وقـارب الغـرز، فـأني سمعت رسـول الله (ص) يقول (يؤتى يوم القيامة بالخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه، وخان فيه، فيفتضح على رؤوس الإشهاد».

ثم قـال: «يا خيـاط إيـاك والفضـلات والسقـطات فـإن صـاحب الثوب أحق بها..»[2].

هكذا جسد الإمام أمير المؤمنين (ع) المخطط الإسلامي للعـدالة الإجتمـاعية بـأدق صورهـا، وهكذا عـامل الأمـة بالـرفق والحب فعاش آمالها وآلامها حتى قطفت أروع ثمارت العدل في تـاريخها كمـا كانت في عهد رسول الله (ص) سواء بسواء.

ج ـ تبين الإمام علي (ع) سياسة نكران الذات لصالح الأمة وذلك بالزهد الصادق بكل ما يطمع به الطامعـون من مال وملذات وزخـرف، فلقد عاش أمير المؤمنين في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنـه فقراء الأمة، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأتـه أو يطحنـه بيده سـواء في ذلك قبل خلافته، وبعدها:

وكـان يلبس أخشن لباس وأبسـطه وكان مبـدؤه الثـابت في هـذا المضمار:

---

(١) من سـورة هـود / ٨٥، راجـع بحـار الأنـوار ج ٤١ ص ١٠٤ من آمـالي الصـدوق وتذكرة الخواص ص ١٣٤ وأنساب الأشـراف للبلاذري ج ٢ ص ١٢٩ مـع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٢) تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي ص ١٢٥.

«.. ألا وإن إمـامكم قد اكتفى من دنيـاه بـطمـريـه ومن طعمـه بقرصيه»، «فوالله، ما كنزت من دنياكم تبـراً، ولا ادخرت من غنـائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمـراً، ولا حزت من أرضهـا شبراً، ولا أخـذت منه كقـوت أتـان دبـرة، ولهي في عيني أو هن من عفصـة مقرة»[1].

وبمقدورنا أن نلمس سياسة الإمام (ع) هذه مع نفسه من خـلال المصاديق التالية:

عن هارون بن عنترة عن أبيه قال:

دخلت على علي بـالخورنق، وهـو في فصل شتـاء، وعليه خلق قطيفة.

فقلت: يـا أمير المؤمنين إن الله قـد جعل لـك ولأهلك في هـذا المال نصيباً، وأنت تفعل هذا بنفسك!!

فقال (ع) والله ما أرزؤكم ـ أنقصكم ـ شيئـاً، وما هي إلّا قـطيفتي التي أخرجتها من المدينة»[2].

وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقولـه «يا أميـر المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك!».

فأجابه علي (ع):

---

(١) كتابه لعثمـان بن حنيف نهج البـلاغة رقم النص ٤٥، التبـر: فتات الـذهب والفضة قبل الصياغة.
الوفر: المال الطمر: الثوب الخلق البالي.
اتان دبرة: التي عقر ظهرها فقل أكلها.

(٢) تـذكرة الخـواص لسبط بن الجوزي ص ١٢١ وعبقـريـة الإمـام للعقـاد ص ١٦ ط. بيروت ١٩٦٧.

«ويحك أني لست كأنت. إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلاً يتبيَّغ بالفقير فقره»[1].

وعن سويد بن غفلة قال دخلت على علي (ع) يوماً وليس في داره سوى حصير رث وهو جالس عليه.

فقلت: يا أمير المؤمنين أنت ملك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير؟

قال (ع): يا سويد إن البيت لا يتأثث في دار النقلة وأمامنا دار المقامة، وقد نقلنا إليها متاعنا، ونحن منقلبون إليها عن قريب[2].

وها هو علي يخرج سيفه ليبيعه في السوق كي يشتري بثمنه أزاراً، وهو أمير المؤمنين وزعيم الأمة الإسلامية الذي تجبى إليه الأموال من جميع بقاع العالم الإسلامي.

فعن أبي رجاء قال: أخرج علي (ع) سيفاً إلى السوق فقال: «من يشتري مني هذا؟ فوالذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته»!!!

فقلت له: أنا أبيعك إزاراً وأنسوّك ثمنه إلى عطائك، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه، فلما قبض عطاءه دفع إليّ ثم الإزار[3].

إنه (ع) لا يأخذ من فيئهم شيئاً، وإن قدّر له الخروج من بلدهم، فلا يخرج إلا بالذي جاء به من المدينة المنورة: راحلته ورحله وغلامه.

---

(١) نهج البلاغة تبويب د. صبحي الصالح رقم ٢٠٩ ص ٣٢٤.
يتبيغ: يستبد به ألم الفقر.

(٢) تذكرة الخواص ص ٦٨.

(٣) شرح في نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.

فعن بكر بن عيسى قال: كان علي (ع) يقول: «يا أهل الكوفة، إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي، ورحلي وغلامي فلان، فأنا خائن».

فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم، ويأكل هو الثريد بالزيت.

ولشدة حرصه (ع) على سلوك سبيل رسول الله (ص) في عدله وزهده أشار عقبة بن علقمة قال دخلت على علي (ع) فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته، وكسر يابس.

فقلت: يا أمير المؤمنين، أتأكل مثل هذا؟

فقال لي: يا أبا الجنوب، كان رسول الله يأكل أيبس من هذا، ويلبس أخشن من هذا، وأشار إلى ثيابه، فإن أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألّا ألحق به[1].

ولعظيم إيثاره للأمة على نفسه ما رواه عبد الله بن الحسين بن الحسن (ع) قال: أعتق علي (ع) في حياة رسول الله (ص) ألف مملوك مما عملت يداه، وعرق جبينه.

ولقد ولي الخلافة، وأتته الأموال فما كان حلواه إلّا التمر ولا ثيابه إلّا الكرابيس[2].

وعن سفيان الثوري عن عمر بن قيس قال: روّي على علي (ع) إزار مرقوع، فعوتب في ذلك، فقال:

«يخشع له القلب، ويتقدي به المؤمن»[3].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠١.

(٢) نفس المرجع ص ٢٠٢.

(٣) تذكرة الخواص ص ١٢١.

ولقد بلغ في شدة زهده (ع) ونكرانه لذاته ابتغاء لوجه الله تعالى ما يتجلى عبر عبارته «.. والله لقد رقعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها، ولقد قيل لي: ألا تستبدل بها غيرها؟ فقلت للقائل: «ويحك أعزب، فعند الصباح يحمد القوم السري»[1].

هذه بعض بنود منهاج علي (ع) مع نفسه وهي تمثل إحدى روافد العدالة الإسلامية التي جسدها الإمام (ع) في دنيا الناس أسوة برسول الله (ص).

د ـ مساواة اهل بيته بسائر الناس:

أما منهاج أمير المؤمنين (ع) الذي سلكه في أهل بيته وقرابته فلم يكن بعيداً عن منهاجه مع نفسه إلّا من حيث الدرجة، فقد كان مبنياً على أساس مساواتهم بالأمة في الحقوق والواجبات، بل إن الذي يتحملونه من مهام من أجل حماية الرسالة والمسيرة أكثر بكثير مما ينالون من حقوق...

كان الإمام (ع) حريصاً على معاملة ذويه في مسألة الحقوق كما لو كانوا من عامة الناس، فلا يفضلهم بعطاء، ولا يميزهم بحق، فلقد سلك معهم أسلوب التدريب والإعداد للعمل بمنهاجه معهم، بل كان يبدو شديداً مع بعضهم من أجل أن ينتهج الخط الذي رسمه الإمام (ع) لمتعلقيه وأهل قرابته.

وهاك صوراً من منهاجه ذلك:

قال مسلم صاحب الحنا:

«لما فرغ علي (ع) من أهل الجمل أتى الكوفة، ودخل بيت

---

(١) المرجع السابق ص ١٢٥. المدرعة: ثوب صوفي غليظ.

المال، ثم قال: يا مال غرَّ غيري، ثم قسمه بيننا، ثم جاءت ابنة للحسن أو للحسين (ع) فتناولت منه شيئاً، فسعى وراءها ففك يدها ونزعه منها، فقلنا: يا أمير المؤمنين إن لها فيه حقاً، قال (ع) إذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء»[1].

وروى هارون بن سعيد قال: قال عبد الله بن جعفر بن أبي طالب لعلي (ع): يا أمير المؤمنين، لو أمرت لي بمعونة أن نفقة، فوالله ما لي نفقة إلا أن أبيع دابتي!!

فقال الإمام (ع) لا والله، ما أجد لك شيئاً إلاّ أن تأمر عمك أن يسرق فيعطيك..[2].

وقد جاءه أخوه عقيل ـ وكان ضريراً ـ يوماً يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين ـ زيادة على حقه ـ وظل يكرر طلبه على علي (ع) فما كان من الإمام أمير المؤمنين إلا وأحمى له حديدة على النار وأدناها منه، ففزع منها عقيل ثم وعظه (يا عقيل أتئن من حديدة أحماها أنسانها للعبة وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه، أتئن من الأذى ولا أئن من لظى..»[3].

وعن أبي صادق عن علي (ع): إنه تزوج ليلى، فجعلت له حجلة، فهتكها، وقال:

حسب آل علي ما هم فيه[4].

وعن الحسن بن صالح بن حي قال:

---

(١) أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٣٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.

(٣) و (٤) بحار الأنوار ج ٤٠ باب ٩٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ في المسابقة بالزهد.

حجلة: ستر يضرب للعروس في الليل.

ـ بلغني أن علياً (ع) تزوج امرأة فنجّدت ـ زينت ـ له بيتاً، فأبى أن يدخله[1].

وعن كلاب بن علي العامري قال:

زفت عمتي إلى علي (ع) على حمار بأكاف تحتها قطيفة، وخلفها قفة معلقة[2]!!

هكذا كان منهاج علي (ع) مع أهل بيته وذوي قرابته لا يفرط من أجلهم بحق من حقوق المسلمين، بل يعمل كل ما من شأنه على رفع مستواهم باتجاه مبادئه في الزهد، ونكران الذات في سبيل الله تعالى، ولصالح مجموع الأمة.

ولقد كان منهجه واضحاً كل الوضوح لا لبس فيه ولا غموض ولا يخضع لعاطفة أو مساومة أبداً «.. والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهداً أو أجر في الإغلال مصفداً أحب إلي من أن ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام. وكيف أظلم أحداً لنفسٍ يسرع إلى البلى قفولها، ويطول في الثرى حلولها..»[3]!

وهذا السبيل الذي اختاره الإمام (ع) إنما يمثل أحد مصاديق العدل الإجتماعي الشامل الذي حرص أمير المؤمنين (ع) على تجسيده واقعاً حيّاً في دنيا الناس.

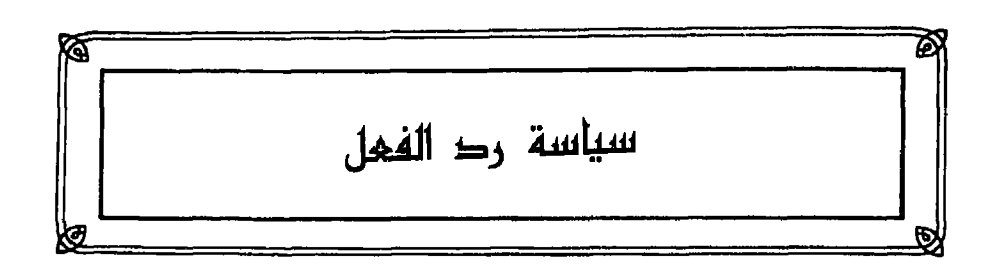
---

(١) نفس المصدر.

(٢) نفس المصدر.
أكاف: كساء يوضع على ظهر الدابة، القفه: إناء من خوص النخل.

(٣) نهج البلاغة رقم النص ٢٢٤.





سياسة رد الفعل

وبسبب ما ألفه رجالات قريش من أثرة وامتيازات لا حصر لها فقد كبر عليهم أن ينهج الإمام (ع) نهج التسوية في الحقوق ـ كما أمر الله سبحانه.

فقد أنكر الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله على الإمام (ع) سياسته تلك واعتبرها مخالفة للنهج الذي ألفه الناس.

فقال لهما الإمام (ع): ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟

قالا: إنك جعلت حقنا في القَسْم كحق غيرنا، وسويت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله علينا بأسيافنا ورماحنا وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً قهراً ممن لا يرى الإسلام إلا كرهاً[1].

فقال الإمام (ع) لهما: «لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً ألا

---

(١) علي بن أبي طالب ـ نظرة عصرية جديدة/ تأليف د. محمد أحمد خلف الله وعدد من الكتاب ص ٣٢.

تخبـراني أي شيء كـان لكمـا فيـه حق دفعتكمـا عنـه؟ أم أي قسم استـأثرت عليكمـا به؟ أم أي حق رفعـه إلى حد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه؟

والله مـا كـانت لي في الخـلافـة رغبـة، ولا في الـولايـة أربـة، ولكنكم دعوتموني إليها، وحملتموني عليها فلما أفضت إليّ نظرت إلى كتاب الله، وما وضع لنا، وأمرنا بالحكم به، فاتبعته، وما استسنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فاقتديته، فلم أحتج في ذلـك إلى رأيكما، ولا رأي غيـركمـا ولا وقـع حكم جهلتـه فـأستشيـركمـا وأخـواني من المسلمين، ولو كان ذلك لم أرغب عنكما، ولا عن غيركما.

وأما ما ذكرتما من أمر الأسوة ـ التسوية في العطاء ـ فإن ذلـك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي، ولا وليته هوى مني، بل وجـدت أنا وأنتمـا ما جاء به رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ قد فرغ منه، فلم أحتـج إليكما فيما قـد فرغ الله من قسمـه، وأمضى فيه حكمـه، فليس لكما، والله، عندي ولا لغيركما في هذا عتبي، أخـذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحق، وألهمنا وإياكم الصبر. . . رحم الله امرأ رأى حقاً فأعـان عليه، أو رأى جوراً فرده، وكان عوناً بالحق على صاحبه. . »[1].

وهكذا تختلف المنطلقات والمفاهيم، ينطلق علي (ع) مما يـأمر بـه الله تعالى ورسـوله (ص) بينمـا تنـطلق المعـارضـة ممـا تـوحي بـه مصالحها.

وشتان بين منطلق يرمي إلى تحقيق متطلبـات الرسـالة ومصلحـة مجموع الأمة، ومنطلق مادي لا يرى غير المصلحة الذاتية.

---

(١) نهج البلاغة رقم النص ٢٠٥ د. صبحي الصالح ط ١ بيروت ١٩٦٧.

موقف معاوية:

ومـا أن تناقلت الأنبـاء أمر إستخـلاف الإمام علي (ع) ونهـوضـه بأعباء قيادة الأمة إلّا وفزع معاوية بن أبي سفيان معلناً معارضته.

وفي الأثنـاء ورد عليه كتـاب من ابن العاص يـطلعه على حقيقـة الموقف في عاصمة رسول الله (ص).

«من عمرو بن العاص إلى معاوية ابن أبي سفيـان: أما بعـد، ما كنت صانعاً فـاصنع، إذ قشـرك ابن أبي طالب من كـل ما تملكـه كما تقشر عن العصا لحاها..»[1].

وها هو الإمام (ع) يكتب لمعاوية كتاباً يستقدمـه فيه، بيـد أنه لم يستجب للإمام (ع) بل ولم يرد على كتابه[2].

وبعد مضي ثلاثة شهور على مقتل عثمان، وقيام الإمام علي (ع) بـالأمر يشهـر معاويـة سلاح المـطالبة بـدم عثمان، متخـذاً منـه ذريعـة للخروج على إمام زمانه.

وقد بدأت معارضته بنشر ثوب عثمـان الدامي في مسجـد دمشق وشعيرات من لحيته، وقد جمد عليها الدم، وراح يستثيـر أهل الشـام للنهوض من أجل عثمان والإنتقام ممن قتله، ومن ثم أرسل رسولاً إلى الإمام (ع) حتى إذا وصل الرسول إلى المدينة المنـورة جعل يسيـر في دروبهـا، وهو يحمـل صحيفة مختـومة مكتـوباً عليهـا من «معاويـة إلى علي» وهـو عنوان يثيـر الدهشـة لدى النـاس فهو خـال من كـل لبـاقـة وكيـاسة، كمـا يشير إلى أن مـرسله لا يحمـل إلى زعيم المسلمين أي

---

(١) الإمام علي وفضائله صض ١٧٥، دار مكتبة الحياة /بيروت.

(٢) الفصول المهمة / لابن الصباغ المالكي ص ٥٠ ويراجع نص كتاب الإمام (ع) في نهج البلاغة رقم ٧٥ تبويب د. صبح الصالح «باب الكتب» ص ٤٦٤.

شعور بالإحترام والتقدير.

وفض الإمام (ع) صحيفة معاوية، فوجدها بيضاء لا حرف فيها فسأل رسول معاوية: ما وراءك؟

قال بعد أن أستأمن الإمام (ع): إني تركت ورائي أقواماً يقولون لا نرضى إلّا بالقود.

قال الإمام (ع): ممن؟

قال: يقولون من خيط رقبة علي، وتركت ستين ألف شيخ يبكون تحت قميص عثمان، .وهو منصوب لهم قد ألبسوه منبر مسجد دمشق، وأصابع زوجته نائلة معلقة فيه.

فقال الإمام: أمني يطلبون دم عثمان، اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان. . »[1].

ثم أمر الإمام (ع) رسول الشام أن يغادر بعد أن منحه الأمان.

ومنذ ذلك التاريخ بادر الإمام (ع) بتجهيز جيشه لإخماد حركة البغاة التي قادها معاوية في الشام.

خلفيات المطالبة بدم عثمان:

ولنا أن نتساءل قبل أن نمضي في حديثنا قدماً، هل كانت الأطراف في كل من الشام والبصرة صادقة في إدعاء المطالبة بدم الخليفة الثالث؟

وللإجابة على هذا السؤال الذي يفرض نفسه على الكاتب والقارىء معاً في هذه المسألة: لا بد من الرجوع إلى مواقف تلك

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١.

الأطراف جميعاً أيام الثورة التي تمخض عنها مقتل عثمان.

فقد كان معاوية يعلم بتفاصيل ما يجري للخليفة في المدينة، وقد استغاث به الخليفة أيام الحصار فلم يغثه بشيء حتى أرسل معاوية جيشاً إلى المدينة بقيادة يزيد بن أسد القسري وقال له: «إذا أتيت ذا خُشُب ـ منطقة خارج المدينة ـ فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فإنني أنا الشاهد وأنت الغائب»[1].

فأقام القسري بجيشه في المكان الذي حدده معاوية، فلما قتل عثمان استدعى معاوية الجيش وقائده إلى الشام.

هذه بعض مواقف معاوية، من عثمان بن عفان أيام حكمه، ومن هنا فإن شعار المطالبة بدم الخليفة القتيل من قبله كان مجرد وسيلة لإستدرار العطف وتجميع الأنصار: فدوافعه الحقيقية إنما تكمن في نقمته على سياسة علي (ع) الإصلاحية والتي كانت تمسّ مصالح بعض طبقات المجتمع بشكل أو بآخر.

وقد أفصح الإمام (ع) عن موقفه إزاء مقتل الخليفة عثمان بقوله: «اللهم إني أبرأ من دم عثمان، ما نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً بلغه»[2].

ويتضح موقف الإمام (ع) كذلك من كتاب له إلى معاوية حيث جاء فيه «وقد أكثرت في قتلة عثمان، فأدخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإياهم على كتاب الله، فأما تلك التي تريدها فخدعة..»[3].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٦ ص ١٥٤ «شرح كتاب الإمام (ع) إلى معاوية رقم ٣٧.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٥١.

(٣) شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٧٥ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.

موقف الامام علي (ع) ايام الازمة:

ومن الضروري جداً أن نشير ولو بشكل مقتضب إلى موقف الإمام (ع) أيام الأزمة التي تعرضت لها الخلافة في عهد عثمان:

فحين هاج الناس في عهد عثمان حاول الإمام (ع) أن يقنع الخليفة بضرورة الإصلاح، وجرى بينهما حديث بهذا الشأن، ومما نصح به الإمام (ع) الخليفة

قوله:

«... وإني أنشدك الله ألا تكون إمام هذه الأمة المقتول فإنه كان يقال: يقتل في هذه الأمة إمام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة، ويلبس أمورها عليها، ويبث الفتن فيها، فلا يبصرون الحق من الباطل، يموجون فيها موجاً ويمرجون فيها مرجاً، فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث يشاء بعد جلال السن وتقضي العمر...»[1].

فقال له عثمان: «كلّم الناس في أن يؤجلوني حتى أخرج إليهم من مضالمهم»[2].

فقال الإمام (ع): «ما كان بالمدينة، فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه»[3].

قال الخليفة: نعم ولكن أجلني فيما بالمدينة ثلاثة أيام.

فخرج الإمام إلى الناس، وأخبرهم بما وعد به الخليفة، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً وأشهد عليه قوماً من وجوه المهاجرين

---

(١) (٢) و(٣) نهج البلاغة /تبويب د. صبحي الصالح ص ٢٣٥ رقم ١٦٤ .

والأنصار»[1].

وحيث لم يتيسر لعثمان أن يبرّ بوعده للناس تأزم الموقف مجدداً. . .

وقد زاد في حراجة الموقف عثور المصريين الثوار على بريد من عثمان إلى عامل مصر يأمره بمعاقبة قادة الثائرين بالقتل[2] ومعاقبة كل متظلم بالسجن ونحو ذلك. .

فحوصر الخليفة من قبل المهاجمين والطامعين في الخلافة معاً حتى قطع عنه الماء ـ كما قدمنا ـ فاستنجد بالإمام علي (ع) فأسرع لإنقاذه وأرغم طلحة وسواه، وأدخل إليه الماء[3].

وبعد أن طال حصار الخليفة ـ أربعين يوماً ـ طلب بعض الناس من علي (ع) أن يصلي بهم، فأبى فتولى طلحة إمامة الصلاة. . !

هذه بعض مواقف الإمام (ع) من أجل عثمان. . . وبالرغم من تلك المواقف النبيلة التي وقفها الإمام (ع) من أجل الخليفة فإنه لا يعني بحال أن الإمام كان راضياً عن سياسة الخليفة في المال والإدارة[4].

بيد أن الإمام (ع) كان يرى في قتل عثمان خطراً يتهدد الأمة بالنظر لما يعقبه من تمزق في الصف الإسلامي، وتجرؤ من لدن المتربصين بالإسلام والمسلمين.

الأمر الذي وقع فعلاً بعد مقتل الخليفة مباشرة.

---

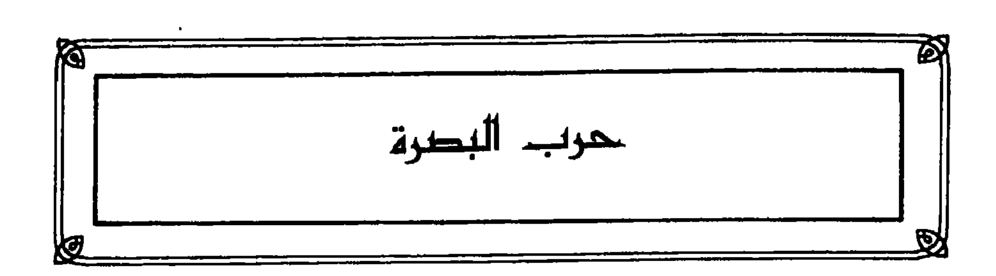
(١) الطبري وابن الأثير وغيرهما (نقلاً عن أحاديث أم المؤمنين عائشة ص ٩٨).

(٢) الطبري وأنساب الأشراف والمعارف لابن قيبة وسواهم «نقلاً عن المصدر السابق ص ٩٩».

(٣) تاريخ الطبري وأنساب الأشراف للبلاذري «نقلاً عن المصدر السابق ص١١٣».

(٤) شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ٥ ـ ٦.





حرب البصرة

على الرغم من أن طلحة والزبير كانا من أشد الناقمين على سياسة عثمـان ومع أنهمـا سبقا النـاس في البيعة لـلإمـام علي (ع) بعـد قتـل عثمـان، فإن الحـركة الإصـلاحيـة التي قـادهـا الإمـام (ع) في الحيـاة الإسـلامية لم تجـد هوى في نفسيهمـا فبدآ في العمـل للخـروج على الإمام(ع) وإثارة المسلمين عليه، فكانت حصيلة ذلك فتنة كبدت الأمة خسارة فادحة.

وقـد بذل الإمـام (ع) جهداً كبيـراً لتحاشي هـذه الفتنة فلم يـأل جهـداً في بـذل النصـح لهم وتحميلهم مغبـة مـا سيكـون إذا نشبت الحرب، وهذه نصيحته (ع) لهما:

«أمـا بعد يـا طلحة، ويـا زبير، فقـد علمتمـا أني لم أرد النـاس حتى أرادوني، ولم أبـايعهم حتى أكرهـوني، وأنتمـا أول من بـادر إلى بيعتي، ولم تدخلا في هذا الأمر، بسلطان غالب، ولا لعرض حـاضر، وأنت يـا زبير، ففـارس قريش، وأنت يـا طلحـة فشيـخ المهـاجـرين، ودفعكما هذا الأمر قبل أن تـدخلا فيـه كان أوسـع لكما من خـروجكما منه بعد إقراركما، ألا وهؤلاء بنو عثمان هم أوليـاؤه المطالبـون بدمـه،

وأنتما رجلان من المهاجرين، وقد أخرجتما أمكما من بيتها الذي أمرها الله تعالى أن تقر فيه، والله حسبكما. .»[1].

وفي البصـرة استمر الإمـام (ع) يبـذل نصحـه من أجـل حقن الدماء، فأرسل للناكثين رسولاً يدعوهم للصلح ورأب الصدع.

كمـا التقى بـالـزبير وذكـره بـأمـور جـرت لهمـا في عهـد رسول الله (ص) منها: ما حملك على ما صنعت يا زبير؟

قال: حملني على ذلك الطلب بدم عثمان!

فقـال الإمـام: إن أنصفت نفسـك، أنت وأصحـابـك قتلتمـوه، ولكني أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسـول الله (ص): يا زبيـر أتحب علياً، فقلت، وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي.

فقال لك: أما أنك تخرج عليه وأنت له ظالم!

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك.

فقـال الإمام: «أنشـدك الله أتذكـر يوم جـاء رسـول الله (ص) من عند بني عوف، وأنت معه، وهو آخذ بيدك فاستقبلته، فسلمت عليـه، فضحـك في وجهي، وضحكت إليـه. فقلت أنت: لا يـدع ابن أبي طالب زهوه، فقال (ص) لك: مهلاً يا زبير ليس بعلي زهو، ولتخـرجن عليه يوماً وأنت ظالم له؟

قال الزبير: اللهم بلى، ولكني قد نسيت ذلك، وبعد أن ذكرتنيه لأنصرفنّ» [2].

---

(١) الفصول المهمة ص ٥٥ لابن الصباغ المالكي.

(٢) الفصول المهمة في معرفة الأئمة / ابن الصباغ المـالكي ص ٦٣ وتذكـرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٧، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٦٧.

وقد عزم الزبير على اعتزال الناس، غير أن ابنه عبد الله وصفه بالجبن أن هو أقدم على ذلك.

وهكذا تفجّر الموقف واندلع القتال بين المعسكرين..

الموقف الانساني:

غير أن الإمام ظل ملتزماً بالصبر والأناة وبما امتاز به من الروح الإنسانية الرفيعة، فها هو يخاطب جيشه ـ بعد اندلاع القتال، وبعد أن ذهبت كل محاولاته لإصلاح الموقف سدى ـ ملزماً أصحابه بأرفع الأخلاق التي يريد الله سبحانه من المسلم الإلتزام بها في ساحة الحرب أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً، ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً[1]. طارحاً بذلك أحكام شريعة الله تعالى في البغاة.

ثم دعا ربه الأعلى سبحانه مستجيراً من الفتنة التي فجرها الناكثون معلناً براءته منها أمام الله الكبير المتعال.

فبعد أن رفع يديه إلى السماء قال «اللهم إن طلحة والزبير أعطياني صفقة أيديهما طائعين، ثم نصبا إلى الحرب ظاهرين، اللهم، فأكفنيهما بما شئت وكيف شئت..»[2].

وقد أسفرت المعركة عن إنتصار ساحق لمعسكر الإمام (ع) فأعلن الإمام العفو العام عن جميع المشتركين في حربه:

«ألا لا يجهز على جريح، ولا يتبع مولٍ، ولا يطعن في وجه مدبر، ومن ألقى السلاح فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ولا

(١) الفصول المهمة /للمالكي ص ٦٢ وتذطكرة سبط ابن الجوزي.

(٢) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٦٢، وتذكرة سبط بن الجوزي.

يستحلن فرج ولا مال، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه، وما كان سوى ذلك، فهو لو ورثته، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم، وليس لكم أم ولد ـ الأمة استولدت ذكراً أو أنثى ـ والمواريث على فريضة الله، وأي امرأة قتل زوجها، فلتعتد أربعة أشهر وعشراً.

فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟

فقال (ع): كذلك السيرة في أهل القبلة[1].

بيد أن بعضاً من جيشه كانوا يرغبون الحصول على مغانم أكبر مما حدده الإمام (ع).

فقام له رجلًا قائلًا: يا أمير المؤمنين، والله ما قسمت بالسوية ولا عدلت في الرعية!

قال الإمام (ع): ولم؟ ويحك!!

قال: لأنك قسمت ما في المعسكر وتركت الأموال والنساء والذرية!!

فقال له الإمام موضحاً فلسفة ذلك الموقف الإنساني الذي التزمه:

يا أخا بكر: إنك امرؤ ضعيف الرأي أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشد، وولدوا على الفطرة، وإنما لكم ما حوى عسكرهم، وما كان في دورهم، فهو ميراث لذريتهم، فإن عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه،

---

(١) أحاديث أم المؤمنين عائشة ق ١ ص ١٨١، نقلاً عن اليعقوبي وكنز العمال.

وإن كفّ لم نحمل عليه ذنب غيره.

يا أخا بكر: لقد حكمت فيهم بحكم رسول الله (ص) في أهل مكة: قسم ما حوى العسكر، ولم يعرض لما سوى ذلك وإنما اتبعت أثره..

يا أخا بكر: أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها؟

وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق..»[1].

هذه بعض مصاديق الموقف الإنساني الفريد الموافق لأمر الله والمطابق لشريعته الغراء الذي التزم به الإمام علي (ع) في معاملة المنهزمين في خصومه.. إنه موقف لا ترى فيه للعاطفة والإندفاع والتشفي أثراً.. إنه موقف جسد فيه الإمام حكم الله تعالى.

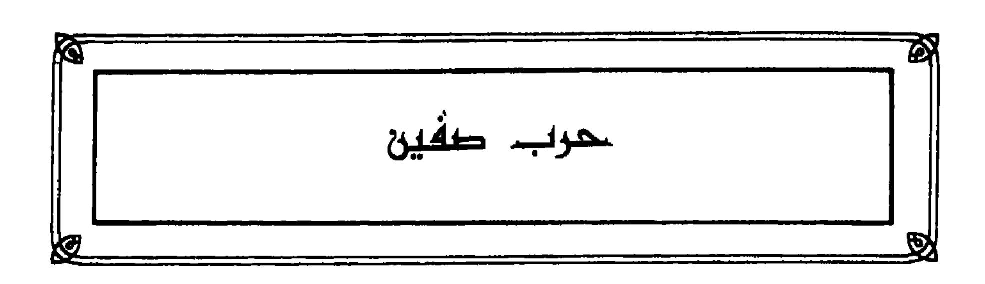
وهل غير علي (ع) جدير بتجسيد حكم شريعة الله فيما شجر بين الناس؟

وواصل الإمام (ع) خطواته الإنسانية إزاء الناكثين.

وهكذا حسم الموقف لصالح الإمام (ع) في فتنة البصرة فأبدى الإمام (ع) خلاله وبعده أنبل المشاعر وأصدقها نحو المغرر بهم محاولاً بذلك رأب الصدع وجمع الشمل وإعزاز الأمة.







بعـد ين تم لعلي (ع) النصر عـاد بجيشه إلى الكـوفة، وبعـد أن عزز الجيش عزم على التوجه إلى الشام لتصفية المعارضة التي يقـودها معاوية بن أبي سفيان هناك..

وسار الإمام (ع) على رأس جيشه، غير أن أنباء مسير الإمام (ع) نحو الشام قـد بلغت الناكثين هنـاك، فقرروا مـلاقاة الـزحف الإسلامي فتلاقى الجيشان عند نهر الفرات...

وبـدأ الإمام (ع) ببـذل مسـاعيـه لإصـلاح المـوقف بـالـوسـائـل السلمية، فأرسل وفداً ثلاثياً إلى معاوية، يدعوه إلى تقوى الله والحفاظ على وحـدة الصف والدخـول في إجمـاع الأمـة «.. إذهبـوا إلى هـذا الرجل ـ معاوية ـ وادعوه إلى الله تعالى، وإلى الطاعة والجمـاعة، لعـل الله تعالى أن يهديه، ويلتئم شمل هذه الأمة»[1].

والتقى الوفد بقائد المعارضة، وأبلغوه بنوايـا الإمام (ع) ووضعـوه أمـام الله تعالى وحـذروه مغبة مـا يقدم عليـه، غيـر أن معـاويـة أبـدى

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٧٠.

إصـراراً، وقـد ختم رده على الـوفـد «انصـرفـوا عني فليس عنـدي إلا السيف»[1].

على أن الموقف الأموي ذلك لم يصرف الإمام (ع) على التسلح بـالصبر والإنـاة ولم يثر فيـه روح التعجيل بـالمواجهـة الصـارمـة حقنـاً للدماء، وحفاظاً على نفوس الأمة...

بيد أن الموقف الإنساني الذي التـزمه الإمـام (ع) لم يزد القـوى المعـارضة إلاّ إصـراراً، فعملوا من جانبهم على الحيلولـة دون حصـول جيش الإمـام (ع) على المـاء، حيث سبق أن تحـرك فيلق لهـم واتخـذ مواقعه عند ماء الفرات ليمنع جند الإمام من الماء...

وبـالنظر لأهميـة الماء في الإستـراتيجية العسكـرية ولعـدم تـوفـر مصدر آخر لجيش الإمام غير الفـرات، فإنَ الإمـام (ع) قد التـزم الأناة أيضاً في معالجة الموقف.

فأرسل رسولاً إلى معاوية ليبلغه (أن الذي جئنا له غير الماء، ولو سبقناك إليه لم نمنعك عنه».

فرد عليهم معاوية بقوله: «لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ»!!!

الأمر الذي اضـطر الإمام (ع) إلى استعمـال العنف في الحصول على الماء لجيشه، حيث لا بديل للعنف..

وهكذا حرك الإمام (ع) فرقة من جيشه لإنهاء الحصار المضروب عليهـم، فانهزم فيلق معاوية شر هزيمة..

---

(١) نفس المصدر السابق ص ٧١.

(٢) شـرح نهج البـلاغة ج ١ ص ٢٣ لابن أبي الحـديـد / تحقيق محمـد أبـو الفضـل إبراهيم ط. ١٩٥٩ م دار إحياء الكتب العربية.

وبعد أن صار الماء في نطاق نفوذ جيش الإمام (ع) أذن للباغين بالتزود منه متى شاؤوا، مجسداً بذلك بنداً من أخلاق الإسلام العظيمة في هذا المضمار.

فأعظم بعلي من محارب نبيل، وأكرم به من صاحب قلب كبير..

وحيث أن همّ الإمام (ع) أن يحقن دماء المسلمين ويصونهم من التمزق، ويدرأ التصدع عن صفهم، فقد طلب من معاوية أن ينازله إلى ميدان القتال فيتقاتلا دون الناس لكي تكون إمامة الأمة لمن يغلب «يا معاوية علام يقتتل الناس؟ أبرز إليّ ودع الناس، فيكون الأمر لمن غلب[1].

إلا أن معاوية قد رفض خوفاً من بطش الإمام (ع) وبالغرم من أن الجيش الأموي قد بدأ القتال من جانبه، فإن الإمام (ع) قد التزم بضبط النفس كذلك وحاول أن يحصر القتال في حدود المبارزة المحدودة[2].

ولما لم تلق محاولات الإمام (ع) الرأب الصدع ـ الذي خلفه معاوية في صف الأمة ـ استجابة، تفجر الموقف بحرب واسعة النطاق استمرت أسبوعين دون هوادة.

وقد لاحت تباشير النصر لصالح معسكر الإمام (ع) وأوشكت القوى الباغية على الإنهزام، فدبروا «خدعة المصاحف» فرفعوا المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف.. مما نجم عن تلك الخطة

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، بلفظ متقارب.

(٢) نفس المصدر السابق.

الماكرة تغير جوهري في الموقف العام.

ولقد كان لرفع المصاحف من لدن معسكر معاوية صدى عميقاً في معسكر الإمام (ع) إذ سرعان ما سارت كثرة كاثرة من جيشه مطالبة بإيقاف القتال.. فكثر اللغط بين الصفوف وآثر الآلاف ترك الحرب..

ومع أن الإمام تصدى لكشف خلفيات رفع المصاحف واستعمل كل وسائله الإقناعية في البرهنة على كونها خدعة يراد بها عرقلة تحقيق النصر الذي بات وشيكاً لصالح جيش الإمام (ع). إلا أن المطالبين بإيقاف القتال لم يستجيبوا لنداءاته المتكررة في هذا المضمار، ولعل بعضهم استعمل لغة التهديد للإمام (ع)..[1].

واضطروه أن يبعث الأشعث بن قيس إلى معاوية للتعرف على ما يريد من وراء رفعه للمصاحف، فعاد يحمل رغبة معاوية في التحكيم.. ثم تلى ذلك الفصل الثاني من المأساة، فاختارت الغوغاء أبا موسى الأشعري لتمثيل معسكر الإمام (ع) بينما اختار معاوية ابن العاص. على أن الإمام (ع) قد رفض فكرة تمثيل الأشعري لمعسكره باعتبار أن الأشعري كان معتزلاً للإمام (ع) ولم يكن يرى في الإمام أهلاً لتولي الخلافة بعد عثمان[2] ـ هو وآخرون ممن اعتزلوا الإمام (ع) ـ وكان يخذل الناس عن نصرة الإمام، مما حمل الإمام على عزله من ولاية الكوفة[3]..

وقد رجح الإمام (ع) أن يكون الممثل لمعسكره في التحكيم عبد الله بن عباس، غير أن الغوغاء أصروا على اختيار أبي موسى

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٠٣.
(٢) راجع الفصول المهمة ص ٧٨ وتذكرة الخواص ص ١٠٣.
(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ٧٤.

الأشعري بالرغم من تأكيد الإمام على ضعفه ووهن رأيه إضافة إلى مرتكزاته الفكرية وموقفه من حكومة الإمام (ع).

وها هو الإمام (ع) يخاطب المخدوعين بقوله «قد عصيتموني في أول الأمر - يشير إلى قبول التحكيم وإيقاف القتال - فلا تعصوني الآن، لا أرى أن تولوا أبا موسى الحكومة فإنه ضعيف عن عمرو ومكائده»[1].

إلا أنهم أصروا على اختيار الأشعري..

ومن هنا فإن الباحث البصير لا يمكن أن يركن إلى الإعتقاد بأن تلك الأمور قد جرت بشكل عفوي أبداً.. فإن سير الأحداث لا يدل على ذلك.. إذ أن رفع المصاحف كان قد جرى بتوقيت وتنسيق بين معاوية وحركة موالية له في جيش الإمام (ع) لا بد أن يكون له اتصال معها...

فما أن ارتفعت المصاحف حتى استجاب أولئك لإيقاف القتال مستفيدين من سأم الناس من القتال، فوسعوا قاعدتهم في صفوف معسكر الإمام (ع) وفرضوا عليه التحكيم، وممثل معسكره في التحكيم فيما بعد...

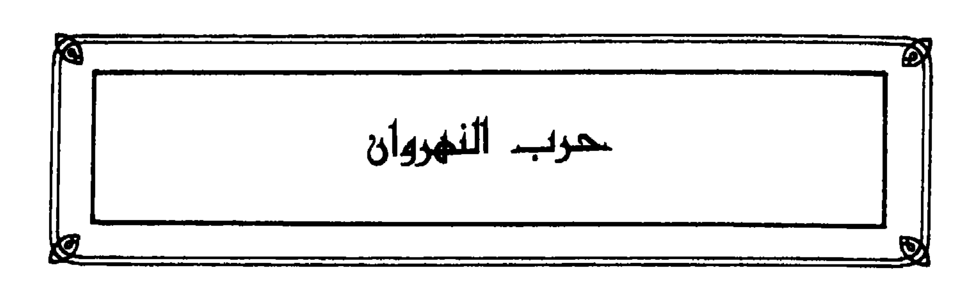
وهكذا فإني لا أعتقد بحال أن لا تكون حركة التمرد في جيش الإمام (ع) بذلك الشكل الذي ذكره المؤرخون لا تعتمد على تخطيط أموي مسبق أبداً..

وقد جاءت نتائج التحكيم - كما توقع الإمام (ع) لصالح معاوية حيث بدأ الأمر يستتب له شيئاً فشيئاً.

---

(١) نفس المصدر ص ٧٩.





حرب النهروان

بعد واقعة التحكيم عاد الإمام (ع) بجيشه إلى الكوفة.. ففوجيء بخروج طائفة من جيشه يبلغ تعدادها أربعة آلاف، معلنة تمردها على الإمام (ع) فلم تدخل معه الكوفة.. وإنما سلكت سبيلها إلى حرورا، فاتخذت مواقعها هناك...

ومن الجدير بالذكر أن الفئة التي خرجت على الإمام (ع) كان قوام أغلبها من الفئات التي أرغمته على التحكيم في حرب صفين[1].

فعند تمرد تلك الفئة وخروجها من جيش الإمام (ع) أعلنت مبررات خروجها تحت شعار «لا حكم إلا لله، لا نرضى بأن تحكم الرجال في دين الله، قد أمضى الله حكمه في معاوية وأصحابه أن يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا إلى ربنا، ورجعنا عن ذلك، فارجع - يقصدون الإمام (ع) - كما رجعنا، وإلّا فنحن منك براء[2].

(١) يوليوس فلهوزن / الخوارج والشيعة ترجمة عبد الرحمن بدوي ط ٢، ١٩٧٦ كويت ص ٣٢.

(٢) وقعة صفين / نصر بن مزاحم ط ٢، ١٣٨٢ هـ ص ٥١٧.

بيد أن الإمام (ع) أوضح لهم حينئذ أن الخلق الإسلامي يقتضي الوفاء بالعهد ـ الهدنة لمدة عام ـ الذي أبرم بين المعسكرين قائلاً: «ويحكم، بعد الرضا والعهد والميثاق أرجع؟

أو ليس الله يقول «وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم، ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، إن الله يعلم ما تفعلون»[1].

إلا أن المعارضة لم تصغ إلى توجيهات الإمام (ع) واستمروا في غيهم، وتعاظم خطرهم بعد انضمام أعداد جديدة لمعسكرهم، وراحوا يعلنون القول بشرك المنتمين إلى معسكر الإمام (ع) ـ بالإضافة للإمام ـ ورأوا استباحة دمائهم..

ولقد كان الإمام (ع) عازماً على عدم التعرض لهم ابتداء ليمنحهم فرصة التفكير جدياً بما أقدموا عليه، عسى أن يعودوا إلى الرأي السديد، ولكي يتفرغ كلياً لإستئناف القتال مع البغاة في الشام، بعد فشل التحكيم بعد اللقاء الثاني بين الحكمين، حيث تمت خديعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري التي أدت إلى عدم تحقيق التحكيم..

غير أنهم بدأوا يشكلون خطرر حقيقياً على دولة الإمام (ع) من الداخل.. وبدأ خطرهم يتعاظم فقتلوا بعض الأبرياء، وهددوا الآمنين، فقتلوا الصحابي الجليل عبد الله بن خباب وبقروا بطن زوجته وهي حامل مقرب دون مبرر.. وقتلوا نسوة من طي.

فلما بلغ أمرهم أمير المؤمنين (ع) أرسل إليهم الحارث بن مرة

---

(١) النحل / ٩١ راجع وقعة صفين: نصر بن مزاحم ص ٥١٧.

العبدي، ليتعرف على حقيقة الموقف، غير أنهم قتلوه كذلك[1].

فلما علم الإمام (ع) بالأمر كرّ راجعاً من الأنبار - حيث كان قد اتخذها مركزاً لتجميع قواته المتجهة نحو الشام - وعندما اقتربت قواته منهم بذل مساعيه من أجل إصلاح الموقف دون إراقة للدماء، فبعث إليهم أن يرسلوا إليه قتلة المؤمنين عبد الله ابن خباب والحارث العبدي وغيرهما وهو يكف عنهم، ولكنهم أجابوه: أنهم كلهم قتلوه..

وبعث الإمام (ع) إليهم الصحابي الجليل قيس بن سعد فوعظهم، وحذرهم مغبة موقفهم الأحمق... وأهاب بهم للرجوع عما يرون من جواز سفك دماء المسلمين وتكفيرهم دون وجه حق[2]..

وتابع الإمام (ع) موقفه الإنساني الرشيد، فأرسل إليهم أبا أيوب الإنصاري (رض) وبعد أن وعظهم، رفع راية ونادى: من جاء هذه الراية - ممن لم يقتل - فهو آمن، ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن لا حاجة لنا به بعد أن نصيب قتلة إخواننا[3].

وقد نجحت المحاولة إلى حد كبير حيث تفرقوا شيئاً بعد شيء حتى انخفض عددهم إلى أربعة آلاف إذ كان عددهم اثني عشر ألفاً.

وقد بدأ الباقون منهم الهجوم من جانبهم على جيش الإمام (ع) فأمر أصحابه بالكف عنهم حتى يبدؤوا بالقتال. فلما بدأ الخوارج القتال، طوقتهم قوات الإمام (ع) وتحقق الظفر لراية الحق.

وهكذا قضى الإمام (ع) في حرب النهروان على حركة الذين سبق لرسول الله (ص) أن سماهم بالمارقين حين أشار إليهم في حديث

---

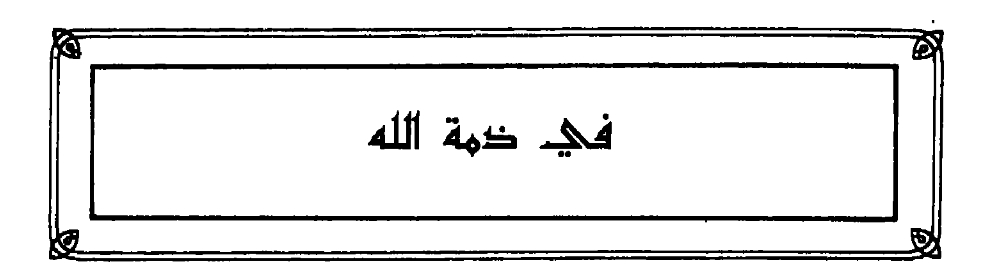
(١) الفصول المهمة / للمالكي ص ٩١.

(٢) المصدر المتقدم ص ٩٢.

(٣) أعيان الشيعة ج ٣، ص ٢٠ (عن الطبري) والفصول المهمة ص ٩٣.

رواه أبو سعيد الخدري قال «سمعت رسول الله (ص) يقول يخرج في هذه الأمة قوم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»[1].

(١) أخرجه البخاري في صحيحة نقلاً عن الفصول المهمة ص ٩٤ أو البلاذري في أنساب الأشراف ج ٢، ص ٣٧٦ عن علي (ع) بلفظ آخر، وخصائص النسائي ص ٧١.



في ذمة الله

أنهى الإمام (ع) مقاومة المارقين، فشمر عن ساعديه لاستئناف قتال القاسطين في الشام بعد أن فشل التحكيم عند اللقاء الثاني بين الحكمين.

وقد أمر الإمام (ع) بتعبئة جيشه، وأعلن حالة الحرب لتصفية قوى المعارضة التي يقودها معاوية، وجاء إعلان الحرب من خلال خطبة لأمير المؤمنين (ع) خطبها في الكوفة ـ عاصمة الدولة الإسلامية ـ فضمنها دعوته للجهاد.

«... الجهاد، الجهاد عباد الله! ألا وإني معسكر في يومي هذا.. فمن أراد الرواح إلى الله، فليخرج!»(١).

ثم بادر الإمام (ع) إلى عقد الوية الحرب، فعقد للحسين راية ولأبي أيوب الإنصاري أخرى، ولقيس بن سعد ثالثة.

وبينما كان أمير المؤمنين يواصل تعبئة قواته من أجل أن ينهي حركة المعارضة التي يقودها معاوية في بلاد الشام كان يجري في

---

(١) نهج البلاغة رقم الخطبة ١٨٢.

الخفاء تخطيط لئيم من أجل اغتيال الإمام (ع).

فقد كان جماعة من الخصوم قد عقدوا اجتماعاً في مكة المكرمة، وتداولوا في أمر حركتهم، التي انتهت إلى أوخم العواقب.

فخرجوا بقرارات كان أخطرها قرار اغتيال أمير المؤمنين (ع) وقد أوكل أمر تنفيذه للمجرم الأثيم (عبد الرحمن بن ملجم المرادي)، وفي ساعة من أحرج الساعات التي يمر بها الإسلام والمسيرة الإسلامية، وبينما كانت الأمة تتطلع إلى النصر على عناصر المعارضة والفرقة التي يقودها معاوية بن أبي سفيان، امتدت يد الأثيم المرادي إلى علي (ع) فضرب الإمام (ع) بسيف وهو في سجوده عند صلاة الفجر، وفي مسجد الكوفة الشريف، وذلك في صبيحة اليوم التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ٤٠ هجرية.

لقد اغتيل الإمام (ع) وهو في أفضل ساعة حيث يقوم بين يدي الله في صلاة خاشعة.

وفي أشرف الأيام إذ كان يؤدي صوم شهر رمضان.

ثم هو (ع) في أعظم تكليف إسلامي حيث كان في طريقه لخوض غمر حرب جهادية، كما كان في بقعة من أشرف بقاع الله وأطهرها «مسجد الكوفة».

فطوبى لعلي وحسن مآب.

لكن جريمة قتل علي (ع) تبقى أشرس جريمة وأكثرها فظاعة ووحشية، لأنها جريمة لم تستهدف رجلاً كباقي الرجال، إنما استهدفت القيادة الإسلامية الراشدة.

واستهدفت كذلك اغتيال رسالة، وتاريخ، وحضارة، وأمة كلها تتمثل في شخص علي أمير المؤمنين (ع).

وبهـذا خسرت الأمـة الإسلاميـة مسيرة وحضـارة، وأروع فرصـة وأطهرها في حياتها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقـد بقي الإمام (ع) يعـاني من علته ثـلاثة أيـام، عهد خـلالها بالإمامة إلى ولده الحسن السبط (ع) ليمارس بعده مسؤوليـاته في قيـادة الأمة الفكرية والإجتماعية.

وكان (ع) طوال الأيام الثلاثة ـ كما كان طول حياته ـ لهجـا بذكـر الله، والثنـاء عليه والـرضا بقضـائه، والتسليم لأمـره، كما كـان يصـدر الوصية تلو الوصية، والتوجيه الحكيم أثر التوجيه، مرشـداً للخير، دالاً على المعروف، محدداً سبل الهدى، مبيناً طريق النجاة، داعياً لإقـامة حـدود الله تعالى وحفـظها، محـذراً من الهـوى والنكـوص عن حمـل الرسالة الإلهية.

وهـذه واحـدة من وصـايـاه بهـذا الشـأن ـ مخـاطبـاً بهـا الحسن والحسين سبطي رسول الله (ص) وأهل بيته وأجيال الأمة:

«أوصيكمـا بتقوى الله، وألّا تبغيـا الدنيـا وأن بغتكما، ولا تـأسفا على شيء منها زوى عنكما، وقولاً بالحقّ، واعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً.

أوصيكمـا، وجميع ولـدي وأهلي ومن بلغه كتـابي، بتقوى الله، ونـظم أمركم، وصـلاح ذات بينكم، فإني سمعت جـدكمـا ـ صلى الله عليـه وآله وسلم ـ يقـول: «صلاح ذات البين أفضـل من عامـة الصـلاة والصيام».

الله الله في الأيتام، فلا تغبوا أفواههم، ولا يضيعوا بحضرتكم.

الله الله في جيرانكم، فأنهم وصيـة نبيكم. ما زال يـوصي بهـم، حتى ظننا أنه سيورثهم.

الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم.

الله الله في الصلاة، فإنها عمود دينكم.

الله الله في بيت ربكم، لا تخلوه ما بقيتم، فإنه إن ترك لم تناظروا.

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله.

وعلكيم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع، لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولى عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجاب لكم.

ثم قال:

يا بني عبد المطلب، لا ألفينكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون: «قتل أمير المؤمنين» ألا لا تقتلنّ بي إلا قاتلي.

أنظروا إذا أنا مت في ضربته هذه، فاضربوه ضربة بضربة، ولا تمثلوا بالرجل، فإن سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ يقول: «إيكام والمثلة ولو بالكلب العقور»(١).

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا الرجل العظيم..

فلقد كانت خسارة الرسالة والامه بفقده من أفدح الخسائر التي أصيبت بها الأمة بعد رسول الله (ص).

فبموت علي (ع) فقدت الأمة:

بطولة غدت أنشودة للزمان..

وشجاعة ما حلم التاريخ بمثلها..

---

(١) نهج البلاغة / ترتيب د. صبحي الصالح، ص ٤٢١ رقم ٤٧.

وحكمة لا يعلم بعدها إلا الله..

وطهراً ما أكتسى به غير الأنبياء..

وزهداً في الدنيا ما بلغه إلا المقربون..

وبلاغة كأنما هي رجع صدى لكتاب الله..

وفقهاً وعلماً وتضلعاً بأحكام الرسالة رشحته لأن يكون باب مدينة علم الرسول (ص) ومرجع للأمة الإسلامية في جميع شؤونها.

فسلام على أمير المؤمنين يوم ولد ويوم قضى شهيداً في محرابه ويوم يبعث حياً..

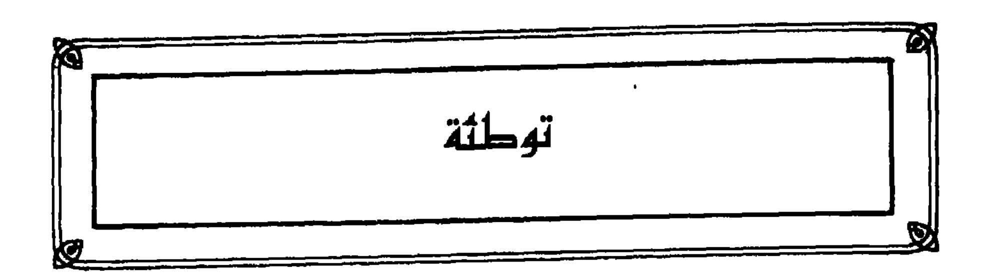
والحمد لله رب العالمين



القسم الثالث

«.. ما وجد لي كذبة
في قول ولا خطلة
في فعل»





توطئة

كنا قد تناولنا في القسم الأول من دراستنا هذه لحياة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) دور رسول الله (ص) في إعداد شخصية الإمام علي (ع) والإشراف المباشر على تشكيل عناصرها، منذ طفولته.. حتى صارت شخصية الإمام (ع) نسخة ثانية طبق الأصل لرسول الله (ص) فكراً وعقيدة وسلوكاً فيما عدا الرسالة ومستلزماتها..

ولقد وصف الإمام (ع) طبيعة خضوعه لذلك اللون من الإعداد الرسالي وصفاً دقيقاً بقوله «.. وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول ولا خطلة في فعل.

ولقد قرن الله به ـ صلى الله عليه وآله ـ من لدن إن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، ومحاسن أخلاق العالم: ليله ونهاره.

ولقد كنت أتبعه: اتباع الفصيل أثر أمه يرفع لي في كل يوم من

أخلاقه علماً، ويأمرني بالإقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحزاء، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي، وأشم ريح النبوة.

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه ـ صلى الله عليه وآله ـ.

فقلت: يا رسول الله ما هذه الرنة؟

فقال: «هذا الشيطان قد أيس من عبادته، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أرى، إلا أنك لست بنبي، ولكنك لوزير وإنك لعلي خير..»[1].

فهذا النص الكريم إضافة إلى ما حفظه لنا التاريخ من سيرة الإمام (ع) يجسد لنا بعمق وقوة المدى الذي كان الإمام (ع) قد حظي به في مضمار الأعداد الرسالي المخطط الذي خصه رسول الله(ص) به. تهيئه له للنهوض بأعباء المرجعية الفكرية والسياسية في الأمة.

وقد بدأ ذلك الإعداد الرسالي من لدن رسول الله (ص) لعلي (ع) منذ نعومة أظفاره فهو ربيبه الذي فتح عينيه في حجره، وهيأ له من فرص التفاعل معه وسلوك نهجه في الحياة ما لم يتوفر لأحد سواه.

وبالإضافة إلى ما كان قد خص به الإمام (ع) من لدن الرسول (ص) أيام الطفولة والصبا من رعاية وتبن وتربية، الأمر الذي ألمحنا إليه في الحلقة الأولى من هذه الدراسة فإن الأعداد الرسالي للإمام (ع) منذ الدعوة المباركة، وحتى آخر ساعة من حياة

(١) نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح خطة رقم ١٩٢ «القاصعة».

رسول الله (ص) قد اتسع مداراً وازداد شمولاً وأصبح أكثر تركيزاً.

والشواهد من حياة رسول الله (ص) متظاهرة في هذا المضمار: فضلاً عن حرص الإمام (ع) على الإقتداء به بأقصى درجات الإقتداء وأصدقها وأكثرها أمانة، فإن رسول الله (ص) كان يخصه بفكر الرسالة وحقائقها ومتطلباتها، ويمده بالمزيد من الثقافة الإلهية.

وكان (ص) يختلي بالإمام (ع) الساعات الكثيرة آناء الليل والنهار ليعمق وعيه لمفاهيم الرسالة ومشاكل المهمة التغييرية التي بدأها رسول الله في الواقع الإنساني، وأساليب العمل من أجل إكمال ما بدأه الرسول (ص).

روى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن هند الجملي عن علي (ع) قال: «كنت إذا سألت رسول الله (ص) أعطيت، وإذا سكت ابتدأني[1].

وعن ابن عباس عن علي (ع) قال «كان لي من النبي (ص) مدخلان: مدخل بالليل، ومدخل بالنهار».

وعن أبي سعيد الخدري قال: «كانت لعلي من رسول الله (ص) دخلة لم تكن لأحد من الناس».

وعن عبد الله بن يحيي عن علي (ع) قال «كنت أدخل على نبي الله (ص) كل ليلة، فإن كان يصلي سبح، فدخلت، وإن لم يكن يصلي إذن لي فدخلت[2].

---

(١) خصائص الإمام علي بن أبي طالب - للنسائي ط ١ بيروت ١٩٧٥، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ٢ ص ٩٨.

(٢) نفس المصدر ص ٤٨.

وعن أم سلمة قالت «والذي تحلف به أم سلمة أن أقرب الناس عهدا برسول الله (ص) علي (ع). . لما كان غدوة قبض رسول الله (ص فأرسل إليه رسول الله (ص) ـ قالت ـ «وأظنه بعثه في حاجة» فجعل يقول: جاء علي؟ ـ ثلاث مرات ـ فجاء قبل طلوع الفجر فلما أن جاء عرفنا أن له إليه حاجة، فخرجنا من البيت وكنا عند رسول الله يومئذ في بيت عائشة، وكنت في آخر من خرج من البيت، ثم جلست من وراء الباب، فكنت أدناهم إلى الباب، فأكب عليه علي (ع)، فكان آخر الناس به عهداً، فجعل يساره ويناجيه»[1].

ولقد كانت حصيلة ذلك الإعداد الرسالي الخاص من رسول الله (ص) لعلي أن رشحت الرسالة الإلهية الإمام علياً (ع) لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الإسلامية.

وقد عبر الإسلام الحنيف عن ذلك الترشيح بشتى الوسائل التعبيرية المباشرة، مجسداً مؤهلات علي (ع) لأمامة الأمة المسلمة تارة، ومعلناً تارة أخرى إسناد الأمامة له رسمياً:

فضائل علي بن حديث رسول ا (ص):

وهذه بعض مؤهلات الإمام (ع) كما تطرحها النصوص الصحيحة:

١ ـ قال رسول الله (ص) مثل علي فيكم كمثل الكعبة. .»[2]

---

(١) نفس المصدر ص ٦٥ وأخرجه أيضاً أحمد بن حنبل في مسنده والكنجي والمحب الطبري وغيرهم نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ٧٧ ـ ٧٨ مط. الأعلمي كربلاء.

(٢) جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء ج ١ ص ٩٦ وابن عساكر من حديث أبي بكر وعثمان وعائشة وسواهم، وأخرج الحديث الكنجي الشافعي في الكفاية والخوارزمي في المناقب، نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ٦ ـ ٧ مط الأعلمي ـ كربلاء.

فحيث توحد الكعبة وجهة الأمة عند ساعات الوقوف بين يدي الله تعالى في الصلاة أو أداء شعائر الحج والعمرة، كذلك يفعل التزام علي (ع) والأخذ عنه في دنيا المسلمين.

٢ ـ والإمام (ع) هو الصراط المستقيم الذي تستلهم الأمة منه العلم الإلهي ومعارف التشريع بعد رسول الله (ص) دون سواه من الناس:

قال رسول الله (ص): «علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرست به من بعدي، حبه إيمان، وبغضه نفاق...»[١].

وقال (ص) أنا مدينة العلم وعلي بابها..»[٢].

٣ ـ وأن علياً كرسول الله (ص) في إقامة العدل بين الناس فكفه ككفه (ص) قال رسول الله (ص): «يا أبا بكر كفي وكف علي في العدل سواء»[٣].

٤ ـ ويصف الرسول علياً (ع) بأنه كنفسه، فقد أخرج أحمد بن حنبل في مسنده عن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله (ص) لوفد ثقيف ـ حجين جاؤوه ـ «لسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفسي ليضربن أعناقكم وليسبين ذراريكم، وليأخذن أموالكم ـ فالتفت إلى علي وأخذ

---

(١) اخرجه أبو نعيم في الحلية ورواه الديلمي في فردوس الأخبار والحمويني في الفرائد وغيرهم نقلاً عن المصدر السابق ص ٧.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل والترمذي في جامعة الصحيح نقلاً عن فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي الحافظ أحمد بن محمد الغماري ط ٢ ١٩٦٩.

(٣) أخجره جلال الدين السيوطي في تاريخ الخلفاء وابن عساكر في تاريخه الكبير والمناقب للخطيب الحنفي نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ١٢.

بيده ـ فقال: هو هذا، هو هذا»[1].

٥ ـ وأن الإمام عليه السلام أدرى المسلمين قاطبة بشؤون القضاء بعد رسول الله (ص) فعن أنس بن مالك قال:

قال رسول الله (ص): «أقضىٰ أمتي علي»[2] وهو إشارة من الرسول (ص) إلى أن الإمام علي (ع) أقدر من سواه على إدارة شؤون الأمة وحسم ما يشجر في حياتها العملية.

٦ ـ وقال المصطفى (ص) «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة»[3].

٧ ـ وحيث أن علياً (ع) صنو الحق الذي هدى الله عباده إليه، فلا يفترق أحدهما عن الآخر، فقد دعا رسول الله (ص) أمته لسلوك منهجه والإندماج بخطة لينقذها من الزيغ، ولكي لا تتبع السبل فتضل عن سبيل الله تعالى قال (ص): «ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك، فالزموا علي بن أبي طالب، أنه أول من يراني، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو مني في السماء العليا، وهو الفاروق بين الحق والباطل»[4].

---

(١) وأخرجه ابن حنبل في المناقب أيضاً وأخرجه كذلك أبو نعيم في الحلية والترمذي وغيرهما، نقلاً عن علي والوصية ص ٣٤٦ ـ ٣٤٧ بألفاظ متشابهة.

(٢) الرياض النضرة ج ٢ ص ١٩٨ والكنجي الشافعي في الكفاية والفصول المهمة ـ لابن الصباغ المالكي وأنساب الأشراف للبلاذري نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ٣٢ ط الأعلمي.

(٣) الخطيب البغدادي في تاريخه الكبير ج ٤ ص ٣٢١ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة وكنز العمال والزمخشري في ربيع الأبرار والحمويني في فرائد السمطين وغيرهم، نقلاً عن علي والوصية ص ١١٣.

(٤) الكنجي الشافعي في كفاية الطالب والحافظ في أماليه وغيرها، نقلاً عن علي والوصية ١٦٧.

٨ ـ وحول إيمان علي (ع) ومداه يقول رسول الله (ص): «لو أن السماوات والأرض موضوعتان في كفة وإيمان علي في كفة لرجح إيمان علي (ع)»[1].

هذه بعض مؤهلات علي (ع) كما بينها رسول الله (ص).

نصوص الامامة:

أما النصوص التي تسند إليه أمر إمامة الأمة فكرياً وسياسياً بشكل صريح فنذكر منها.

١ ـ آية الولاية:

﴿إنّما وَلِيُكُمُ الله وَرَسُولُهُ والّذينَ آمنوا الّذينَ يُقيمونَ الصلاة ويُؤتونَ الزّكاةَ وَهُم راكِعون وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهُ وَرَسُولَهُ والَّذِينَ آمَنوا فإنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبونَ﴾.

(المائدة / ٥٥ ـ ٥٦).

فقد ذكر المفسرون أن آية الولاية هذه قد نزلت في علي ابن أبي طالب (ع)، حيث تؤكد بلا أدنى شك أنه يجب على الأمة الإسلامية الإلتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً وسياسياً بعد رسول الله (ص).

ولقد نزلت هذه الآية الكريمة في علي (ع) كما روى ذلك جمع من الثقاة من المحدثين والمفسرين ـ لحد الإستفاضة ـ وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة أن سائلاً دخل مسجد رسول الله (ص) يسأل

---

(١) أخرجه الديلمي عن ابن عمر، يراجع كنز العمال ج ٦ ص ١٥٦ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٢٦ أخرجه عن عمر بن الخطاب نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ص ١٥ ط الأعلمي ـ كربلاء.

المسلمين المعونة فأشار الإمام (ع) إلى أصبعه وهو راكع فانتزع السائل خاتم الإمام من أصبعه وتصدق الإمام به وهو راكع فنزلت فيه هذه الآية[1].

٢ ـ خطبة الغدير التي ألقاها رسول الله (ص) في حجة الوداع بعد أدائه مراسيم الحج الأكبر.

فعن البراء بن عازب قال: أقبلنا مع رسول الله (ص) سنته التي حج فيها، فنزل في بعض الطريق فأمر:

الصلاة جامعة فأخذ بيد علي،

فقال: «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟»

قال: بلى.

قال (ص): «ألست أولى بكل مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى.

قال (ص): «فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عاد من عاداه»[2].

وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (ص) قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»[3].

---

(١) راجع تفسير الآية في كل من: تفسير البيضاوي ومجمع البيان للطبرسي، وأبو إسحاق الثعلبي في تفسيره، والطبري في تفسيره، والواحدي في أسباب النزول، وأبو البكرات النسفي في تفسيره، والنيسابوري في تفسيره، والشبلنجي في نور الأبصار وابن حجر في صواعقه المحرقة وغيرهم. نقلاً عن فضائل الخمسة في الصحاح الستة ج ١ وأعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٣٠ وما بعدها

(٢) لفظ صحيح ابن ماجه ص ١٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٢٨١ وقد نص على أن الحديث رواه ثلاثون =

٣ ـ وعن أم سلمة أم المؤمنين قالت: قال رسول الله (ص): «أن الله اختار لكل نبي وصياً، وعلى وصي في عترتي وأهل بيتي وأمتي بعدي»[١].

هذه بعض النصوص الإسلامية الصحيحة التي أسندت أمر المرجعية الفكرية والسياسية لعلي بن أبي طالب (ع) ولمن يريد المزيد من تتبع نصوص الإمامة مراجعة المصادر المختصة بالموضوع[٢].

= صحابياً. وقد أخرج الحديث غيره كالنسائي في الخصائص والطبراني عن زيد بن أرقم والفخر الرازي في تفسير آية ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ وكنز العمال ج ١ ص ٤٨ ومستدرك الصحيحين نقلاً عن كتاب الغدير ج ١ للشيخ عبد الحسين الأميني.

(١) الموفق بن أحمد الحنفي في مناقبه والحمويني الشافعي في فرائد السمطين وفي مسند أحمد بن حنبل حديث الوصية يشبهه وللثعلبي في الكشف والبيان وابن المغازلي مثله نقلاً عن علي والوصية ص ٢٣٥.

(٢) ككتاب «الغدير» للشيخ عبد الحسين الأميني «ودلائل الصدق» للشيخ محمد حسن المظفر و«وأحاق» الحق» للقاضي التستري و«عبقات الأنوار» للسيد مير حامد حسين و«المراجعات» للسيد عبد الحسين شرف الدين.. وغيرها.



شخصية علي (ع)

من خلال عناصرها الاساسية

علاقة الامام علي بالله تعالى:

شواهد من عبادة امير المؤمنين (ع):

المنهج العبادي في خطوطه الاساسية:



إذا كـانت حصيلة الإعداد الإلهي المبـاشر لـرسـول الله (ص) إن صـار خلقه (ص) القـرآن بكل مـا فيه من فضـائـل وقيم روحيـة رفيعـة مجسداً حياً في دنيا الواقـع[1]، فإن حصيلة الإعـداد الرسـالي من لدن رســول الله (ص) لعلي بن أبي طـالب (ع) أن صــار علي (ع) صــورة للرسول (ص) فكراً وهدياً ومواقف..

ولقد قرأنا بين ثنايا النصوص الكـريمة التي مـرت بنا خـلال هذه الدراسة[2]: تلك النصوص التي تكشف بقوة عما لعلي (ع) من مكانـة في دنيا الإسلام.

فهـو: المطهـر من الرجس، وهـارون الأمة، والـذي كفـه ككف النبي المصـطفى، في العدل، وهـو رفيق الحق لا ينفك أحـدهمـا من الآخر وهو باب العلم الإلهي، وفاروق الأمة[3] و... و... الخ.

---

(١) يراجع القسم الثالث من سيرة المصطفى (ص) للمؤلف.

(٢) راجع القسم الأول من هذه الدراسة التي بين يديك.

(٣) فاروق الأمة رواه عن رسول الله (ص) الطبراني والبيهقي وكنز العمـال وسواهم نقـلاً عم المراجعات ص ١٧٠.

وكل هذه الأوسمة التي زين بها الإسلام صدر علي (ع) كانت ذات مداليل عملية في دنيا الواقع في حياة علي (ع).

فهذه الصفات السامية جاءت ترجمة لواقع صار إليه الإمام (ع) كثمرة للأعداد الرسولي له منذ نعومة أظفاره حتى آخر يوم من أيام المصطفى (ص).

ولعنا لا ندرك أهمية تلك الأوسمة التي زين بها صدر الإمام (ع) ما لم نسلط بعضاً من الضوء على المقومات العامة لشخصيته سلام الله عليه في هذه الصفحات:

علاقة الإمام علي بالله تعالى

سبق أن أشرنا في حديثنا عن شخصية رسول الله (ص) إلى أن علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى، ليست محدودة في إحدى زوايا حياته أبداً، وإنما هي كما حدد الله سبحانه أبعادها لعباده من خلال شريعته التي ارتضى لهم: تجرد كامل للعزيز المتعال عز وجل بكل خلجات النفس، وبكل حركة في الحياة: في الصلاة والصيام والحج والإعتكاف، بشعائر التعبد وبالعلاقات الأسرية والإجتماعية عامة بالحكم والقضاء بالمحيا والممات وما بعد الموت[1].

وقد جسد القرآن الكريم حجم العلاقة بين العبد وربه الأعلى بقوله تعالى ﴿قُل إنّ صلاتي ونُسُكي وَمَحْيايَ وَمَماتي لِلّهِ رَبِّ العَالَمين﴾.

(الأنعام / ١٦٢)

على أن شعائر الإسلام الكبرى : كالصلاة والصوم والحج وسواها وإن كانت جزءاً من هيكل العبودية لله تعالى التي تشمل الحياة

(١) القسم الثالث من سيرة المصطفى (ص) للمؤلف.

الإنسانية كلها. إلا أن هذه الشعائر تختص بسمات خاصة «توقيفية» ككيفية الأداء والوقت والعدد، فهي في هذه المجالات محددة من قبل الله تبارك وتعالى فلا مجال فيها لتبديل أو تحوير أو نقص أو زيادة.

ثم إنها تمتاز في كونها وقفات خالصة لله سبحانه ليس فيها غايات أخرى غير رضوان الله والإستجابة لأمره، ومن أجل ذلك تفقد هذه الفرائض طابعها العبادي إذا دخل إطارها رياء أو نحوه.

وهي ميزة لا تتحقق في أمور الحياة الإنسانية الأخرى وإن كانت سابحة في إطار من العبودية لله تعالى.

فالزواج والنشاط الإقتصادي مثلاً ونحوهما من العقود وإن كانت شريعة الله تعالى تضعها في مسار العبودية لله، والمرء من خلالها يؤدي عبادة إذا هو التزم بأحكام الشريعة الإسلامية في تحديد وجهتها وأبعادها ومستلزماتها إلا أنها تبقى حاملة لأغراض أخرى فالزواج مثلاً إن كان يحقق غاية إسلامية من ناحية تحصين الفرد المسلم عن الوقوع في المحرم، حتى أن الإسلام يعتبر عملية الزواج من لدن المسلم أحرازاً لنصف الدين - كما في الحديث الشريف - كما أن الإلتزام بأحكام الشريعة الخاصة في حقول التعامل بين الزوجين ونحوها يعتبر أمراً مفروضاً على المؤمنين..

أقول إلى جانب هذه الأمور التي ترافق عملية الزواج، فإن الميل يبقى خلفية أساسية من خلفيات حمل الفرد على تعاطيه.

وهكذا تظهر خلفيات أخرى غير الخلفية العبادية في مثل هذه الأمور..

ومن هنا نرى أن أمر الزواج والنشاطات الإقتصادية في مثالنا أمور توجد في كل مجتمع في الماضي والحاضر، قبل عصر التنزيل وبعده

بالنظر لارتكازها على حاجات طبيعية لدى الكائن الإنساني، ومهمة شريعة الله تعالى ترتكز على إضفاء الصبغة الشرعية عليها بعد تهذيبها وتحديد مسارها ووضع مخطط إسلامي لصوغها وفقاً لمتطلبات الفطرة البشرية.

وبناء على هذا التحديد لطبيعة علاقة المسلم بالله تبارك وتعالى فسنستعرض علاقة الإمام علي بن أبي طالب (ع) بالله تعالى من خلال الفرائض والسنن الإسلامية.



شواهد من عبادة
أمير المؤمنين (ع)

كحصيلة للإعداد الرسالي الذي حظي به الإمام (ع) من لدن أستاذه الرسول (ص) ـ الأمر الذي تناولناه في مدخل هذه الرسالة ـ فقد طبعت شخصية الإمام (ع) بشخصية المصطفىٰ (ص) في جميع مقوماتها: عبادة وفكراً ومواقف.

يسلك سبيله، يقتفي سنته ويقفو أثره، ومن أجدر بتجسيد سنة الرسول (ص) كاملة في دنيا الواقع سوى علي (ع)؟ الذي صنع رسول الله (ص) شخصيته وشكل جميع عناصرها وطبعها بالطابع الإلهي منذ نعومة أظفاره..

وإذ نعقد هذا الفصل للحديث عن عبادة الإمام (ع) ووسائل تعلقه بالله سبحانه، فسنعرض شواهد منها، لندرك السمو الشاهق الذي بلغه الإمام (ع) في مضمار الإنشداد إلى الله واستلهام سنة الرسول (ص) المطهرة في هذا المضمار:

صلاة وضراعة:

فكثرة تعاهده لأمر الصلاة والتضرع إلى الله سبحانه تعالى يشير عروة بن الزبير في حديث له عن أبي الدرداء:

قال: «شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات[1] النجار، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمغيلات[2] النخل، فافتقدته، وبعد عن مكانه، فقلت الحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين ونغم شجي، وهو يقول: «إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنقمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك.

إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك».

فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي بن أبي طالب (ع) بعينه، فاستترت له وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغامر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به الله تعالى أن قال: «إلهي أفكر في عفوك، فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك، فتعظم علي بليتي».

ثم قال «آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها، وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته ولا يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء».

ثم قال «آه من نار تنضج الأكباد والكلى، آن من نار نزاعة للشوى، آه من لهبات لظى».

قال أبو الدرداء: ثم أمعن في البكاء، فلم أسمع له حسا، ولا حركة.

فقلت: غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر،

---

(١) الشوحط: شجر يتخذ منه القسي.

(٢) المغيلات: النخل الوارف الظلال.

فأتيته، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته، فلم يتحرك، وزويته فلم ينزو.

فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقالت فاطمة (ع): يا أبا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟

فأخبرتها الخبر.

فقالت: «هي والله ـ يا أبا الدرداء ـ الغشية التي تأخذه من خشية الله».

ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه، فأفاق، ونظر إلي وأنا أبكي فقال: مما بكاؤك يا أبا الدرداء؟

فقلت: مما أراه تنزله بنفسك.

فقال: يا أبا الدرداء، فكيف لو رأيتني، ودعي بي إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار، قد أسلمني الأحباء ورفضني أهل الدنيا، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية».

فقال أبو الدرداء: «فوالله ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله» (ص)[1].

هذا شاهد من شواهد تعلق الإمام (ع) بالله تعالى وشدة انشداده إليه ورهبته منه.

---

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١١ ـ ١٢ نقلاً عن أمالي الصدوق والأنوار العلوية للشيخ جعفر النقدي ط ٢ ص ١١٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٨٩.

ويبدو أن هذا ديدن علي (ع) كما يتجلى من قول الزهراء (ع) لأبي الدرداء: «هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله».

وهذه مزينة عند التوجه إلى الله تعالى في صلاته وضراعته، الأمر الذي ألفه أهل البيت (ع) في علي (ع).

ومن أجل ذلك لم يفزعوا حين أنبأهم أبو الدرداء بموته ـ كما ظن هو ـ بل استفسروا عما رأى، فأعلمته الصديقة (ع) أن ما رآه هو المألوف من علي (ع) كل آن حين تأخذه الغشية لله تبارك وتعالى أثناء قيام الليل.

ولكثرة قيامه للعبادة ليلاً يحدثنا عبد الأعلى عن نوف البكالي..

قال: «بت ليلة عند أمير المؤمنين (ع) فكان يصلي الليل كله، ويخرج ساعة بعد ساعة، فينظر إلى السماء، ويتلو القرآن، فمر بي بعد هدوء من الليل فقال: يا نوف أراقد أنت أم رامق؟

قلت: بل رامق أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين.

قال: يا نوف طوبى للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك الذين اتخذوا الأرض بساطاً، وترابها فراشاً، وماءها طيباً، والقرآن دثاراً، والدعاء شعاراً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً على منهاج عيسى بن مريم..»[1].

وهكذا كان علي (ع) في شدة تعلقه بالله، وعظيم تمسكه بمنهج الأنبياء (ع). أنه ترجمة صادقة لعبادة محمد (ص) وزهد المسيح (ع).

---

(١) نفس المصدر ص ١٦ عن الخصال للصدوق ونهج البلاغة باب الحكم رقم ١٠٤ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

أرأيت كيف ينـدك وجوده على عتبـة الخضوع لله والإستكـانة لـه وطلب رضوانه؟

وحول التزامه بقيام صلاة الليل طول عمره الشريف يروي لنـا أبو يعلى - في المسند - عنه (ع) قـال: «ما تـركت صلاة الليـل منذ سمعت قول النبي صلى الله عليه وآله: صلاة الليل نور».

فقال ابن الكواء: ولا ليلة الهرير!؟

قال (ع): ولا ليلة الهرير[1].

توجه ورهبة:

ولعظيم إقباله على الله تعالى يشير القشيري في تفسيره:

أنه كان (ع) إذا حضر وقت الصلاة تلون وتـزلزل. فقيـل له: مـا لك؟

فيقـول: جـاء وقت أمـانـة عـرضهـا الله تعـالى على السمـاوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وحملها الإنسان على ضعفه، فـلا أدري أحسن إذا حملت أم لا[2].

ولع بالصلاة:

ولكثرة صلاته ما ورد عن الإمام الباقر (ع) أنه قال:

كـان علي بن الحسين (ع) يصلي في اليـوم والليلة ألف ركعـة، كما كان يفعل أمير المؤمنين (ع)[3].

---

(١) البحـار ج ٤١ ص ١٧. ليلة الهـريـر = من ليـالي صفين الحـاسمـة التي اشتبـك الفريقان فيها طوال الليل دون هوادة.

(٢) نفس المصدر ص ١٧.

(٣) نفس المصدر ص ١٥.

وعن سليمان بن المغيرة عن أمه قالت: سألت أم سعيد سرية علي (ع) عن صلاةعلي (ع) في شهر رمضان.

فقالت: رمضان وشوال سواء، يحيي الليل كله[1].

وعن الإمام الصادق (ع) قال: «إن علياً في آخر عمره يصلي في كل يوم وليلة آلف ركعة»[2].

عبادة الشاكرين:

ولقد عظم المعبود عز وجل في نفس الإمام (ع) فصارت عبادته تعبيراً عن الحب له والشوق إليه، واستشعار أهليته للعبادة دون سواه، ومن أجل ذلك كان علي (ع) لا يعبد الله خوفاً من عذابه، ولا طمعاً في جنته ولا فيما أعده من نعيم للمتقين، وإنما سما الإمام (ع) في علاقته بالله تعالى إلى أعلى الدرجات أسوة بأستاذه الرسول (ص).

وقد كشف الإمام (ع) عن جوهر علاقته بالله تعالى وطبيعتها بقوله:

«إلهي ما عبدتك خوفاً من عقابك ولا طمعاً في ثوابك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[3].

فأعظم به من يقين، وأكرم به من إيمان!!

ولقد حدد الإمام (ع) ألوان العبادة في كلمة خالدة:

«أن قوماً عبدوا الله رغبة، فتلك عبادة التجار، وأن قوماً عبدوا

---

(١) نفس المصدر ص ١٧.

(٢) نفس المصدر ص ٢٣ أشار إلى أنه عليه السلام مع تقدم سنة بقي ملتزماً بمنهجه في العبادة والإكثار في الصلاة.

(٣) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي ص ١٤٤.

الله رهبة، فتلك عبادة العبيد، وأن قوماً عبدوا الله شكـراً، فتلك عبادة الأحرار»[1].

وكـانت عبـادتـه (ع) من النـوع الأخيـر، حيث تصـدر كحصيلة للشعور بأهلية المعبود للعبادة واستحقاقه لها.

أمـا إيقاف العبـادة على حصول الثـواب فحسب، فهي عبادة من وصفهم الإمام (ع) بالتجار، الذين يبتغون الثمن وينتظرون التعويض.. وشتـان بين هـدف الشـاكـرين، وهـدف التجـار في ميـزان الله تعـالى وحسابه.

صلاة الرسول (ص):

ولقـد كانت صـلاة علي (ع) ـ أسـوة بسـائـر نشـاطـاتـه ـ كصـلاة رسول الله (ص) في كيفية الأداء والخشوع والإنشداد والتعلق بالله تعالى فعن مـطرف بن عبـد الله قـال: «صليت أنـا وعمـران بن حصين خلف علي بن أبي طالب.. فلما انصرفنا أخـذ عمران بيـد فقال: لقـد صلى صلاة محمد، ولقد ذكرني صلاة محمد (ص)[2]».

تعهدوا أمر الصلاة:

وإلى جـانب تعاهـد الإمام (ع) لأمـر الصلاة فقـد كان كثيـراً مـا يوصي أتباعه بتعاهد أمرها، وأدائها في أوقاتها وتعريفهم بأهميتها وأثرها في شخصية المسلم «تعاهدوا أمر الصلاة، وحافظوا عليها، واستكثـروا منهـا، وتقربـوا بها فـإنها ـ كـانت على المؤمنين كتـابـاً مـوقـوتـاً ـ » ألا

---

(١) المصدر المتقدم.

(٢) أنساب الأشراف ج ٢ ص ١٨٠ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ نقلاً عن البخاري ومسلم والنسائي وغيرهم.

نسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا «ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين».

وإنها لتحت الذنوب حت[1] الورق، وتطلقها إطلاق الربق[2] وشبهها رسول الله صلى الله عليه وآله بالحمة[3]، تكون على باب الرجل، فهو يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات، فما عسى أن يبقى عليه من دون[4]؟

وقد عرف حقها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرة عين من ولد ولا مال.

يقول الله سبحانه:

﴿رِجالٌ لا تُلهِيهِمْ تِجارَةٌ ولا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ الله وإقامِ الصَّلاةِ وإيتاءِ الزَّكاةِ...﴾.

(النور / ٣٧)

«فكان يأمر بها أهله ويصبر عليها نفسه»[5].

---

(١) حت الورق عن الشجر: قشره.

(٢) الربق: حبل فيه عدة عرى كل واحدة ربقة.

(٣) الحمة: عين ماء حار يستشفى فيها من المرض.
نصبا: نصب في الأمر: جد واجتهد فيه.

(٤) الدرن: الوسخ.

(٥) نهج البلاغة تبويب صبحي الصالح ص ١٩٩.

المنهج العبادي في خطوطه الاساسية

وإلى منهجه العبادي الملتزم أشار الإمام الباقر (ع) بقوله:

«.. وما ورد عليه أمران قط كلاهما لله رضى إلا أخذ بأشدهما على بدنه»(١).

وقد ورد عن الإمام علي (ع) ذاته «... وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر»(٢).

وفي حديث ضرار بن ضمرة لمعاوية بن أبي سفيان حول شخصية الإمام (ع) تجسيد لهذه الحقيقة، فمما جاء في حديثه «.. كان والله صواماً بالنهار قواماً بالليل..».

توكل صادق ويقين راسخ:

وحيث أن التوكل على الله تعالى زاد المتقين، واليقين بالله شعار المؤمنين الصادقين يملأ قلوبهم بالثقة والإطمئنان والعزة والإرتفاع على جميع عقبات الحياة.

---

(١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب المازندراني.

(٢) نهج البلاغة من كتاب إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥ ص ٤١٦.

فقد كان أمير المؤمنين (ع) قائداً لأهل اليقين بعد رسول الله (ص) ويعسوباً للمتوكلين.

وهذه سيرته تتحفنا بالعديد من الشواهد في هذا المضمار: ـ فعن الإمام الصادق (ع) قال: كان لعلي (ع) غلام إسمه قنبر، وكان يحب علياً حباً شديداً، فإذا خرج علي (ع) خرج على أثره بالسيف فرآه ذات ليلة، فقال له: يا قنبر مالك؟

قال: جئت لأمشي خلفك، فإن الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك.

قال: ويحك أمن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض؟

قال: لا بل من أهل الأرض.

قال (ع): إن أهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلا بإذن الله عز وجل فارجع. فرجع[1].

وعن أبي عبد الله (ع) قال: «إن أمير المؤمنين جلس إلى حائط يقضي بين الناس.

فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنه معور،

فقال أمير المؤمنين: حراس أمرأ أجله.

فلما قام أمير المؤمنين (ع) سقط الحائط.

وكان أمير المؤمنين (ع) مما يفعل هذا وأشباهه، وهذا اليقين»[2].

---

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١ نقلاً عن التوحيد للصدوق.

(٢) نفس المصدر ص ٦ نقلاً عن أصول الكافي.

وعن سعيد بن قيس الحمداني قال «نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان، فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين (ع).

فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع؟

فقال: نعم يا سعيد بن قيس، إنه ليس من عبد إلا وله من الله عز وجل حافظ وواقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء»[1].

هذا هو علي (ع) في قوة يقينه بالله، وشدة توكله عليه سبحانه.

مصاديق من زهد امام (ع):

ولقد كان الزهد معلماً بارزاً من معالم شخصية الإمام (ع)، وسمة مميزة زينه الله تعالى به فعن عمار بن ياسر (رض) قال: قال رسول الله (ص) لعلي. «إن الله قد زينك بزينة لم يزين العباد بزينة أحب منها، هي زينة الأبرار عند الله: الزهد في الدنيا، فجعلك لا ترزأ - تعيب - من الدنيا ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً، ووهبك حب المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، ويرضون بك إماماً»[2].

وقد كان من شواهد تلك الصفة التي حباه الله تعالى بها:

أن زهد الإمام (ع) عن كل لذاذات الحياة وزينتها وتوجه بكل وجوده نحو الآخرة، وعاش عيشة المساكين وأهل المتربة من رعيته.

لقد زهد الإمام (ع) بالدنيا وزخرفها زهداً تاماً وصادقاً:

زهد في المال والسلطان، وكل ما يطمع به الطامعون.

فلقد عاش في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء من

---

(١) نفس المصدر.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٩٤ ط ١ المطبعة العلمية قم.

الأمة، وكان يأكل الشعير تطحنه امرأته أو يطحنه بنفسه قبل خلافته وبعدها، حيث كانت تجيء الأموال إلى خزانة الدولة التي كان يضطلع بقيادتها من شرق الأرض وغربها. وغالباً ما كان يلبس أبسط أنواع الثياب، فكان ثمن قميصه ثلاثة دراهم.

وقد بقي ملتزماً بخطه في الزهد طوال حياته، فقد رفض أن يسكن القصر الذي كان معداً له في الكوفة حرصاً منه على التأسي بالمساكين[1].

وهذه بعض المصاديق كما ترويها سيرته العطرة:

فعن الإمام الصادق (ع) يقول: «كان أمير المؤمنين أشبه الناس طعمة برسول الله (ص) يأكل الخبز والخل والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم»[2].

وعن الباقر (ع) قال: «ولقد ولي خمس سنين وما وضع آجرة على آجرة ولا لبنة على لبنة، ولا أقطع قطيعاً ولا أورث بيضاً ولا حمراً»[3].

وعن عمر بن عبد العزيز قال «ما علمنا أن أحداً كان في هذه الأمة بعد رسول الله (ص) أزهد من علي بن أبي طالب، ما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة»[4].

وعن الأحنف بن قيس قال: «دخلت على معاوية، فقدم إلي من الحلو والحامض، ما كثر تعجبي منه، ثم قال: قدموا ذاك اللون،

---

(١) علي وحقوق الإنسان، جورج جرداق ص ٧٥ ط. ١٩٧ بيروت.
(٢) بحار الأنوار ج ٤٠ ص ٣٣٠ عن المحاسن.
(٣) مناقب ابن شهر أشوب ج ٥١ ص ٣٦.
(٤) تذكرة الخواص ص ١١٧.

فقدموا لوناً ما أدري ما هو. . . !

فقلت: ما هذا؟

فقال: مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر!!

قال الأحنف: فبكيت.

فقال معاوية: ما يبكيك؟

فقلت: لله در ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمع به أنت ولا غيرك!

قال معاوية: وكيف؟

قلت: دخلت عليه ليلة عند إفطاره. .

فقال لي: قم فتعش مع الحسن والحسين، ثم قام إلى الصلاة، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثم ختمه.

فقلت: يا أمير المؤمنين لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمت على هذا الشعير.

فقال: لم أختمه بخلا، ولكن خفت أن يبسه الحسن والحسين بسمن أو أهالة!

فقلت: أحرام هو؟

قال: لا، ولكن على أئمة الحق أن يتأسوا بأضعف رعيتهم في بالأكل واللباس، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ليراهم الفقير، فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، ويراهم الغني فيزداد شكراً

وتواضعاً»[1].

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت على علي (ع) بالكوفة، وبين يديه رغيف من شعير، وقدح من لبن، والرغيف يابس، فشق علي ذلك.

فقلت: لجارية له يقال لها فضة: ألا ترحمين هذا الشيخ، وتنخلين له هذا الشعير.

فقالت: .. إنه عهد إلينا ألا ننخل له طعاماً قط..!

فالتفت الإمام إلي.

وقال: ما تقول لها يا ابن غفلة، فأخبرته...

وقلت: يا أمير المؤمنين ارفق بنفسك.

فقال لي: ويحك يا سويد؟ ما شبع رسول الله (ص) وأهله من خبز بر ثلاثاً تباعاً حتى لقي الله، ولا نخل له طعام قط..»[2].

وعن سفيان الثوري عن عمرو بن قيس قال: روّي على علي (ع) أزار مرقوع، فعوتب في ذلك؟

فقال: يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن[3].

وعن الغزالي يقول: «كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع سيفه، ولا يكون له إلا قميص واحد في وقت الغسل ولا يجد غيره»[4].

---

(١) نفس المصدر ص١١٨: يبسه: يضع عليه السمن، والإهالة الشحم أو ما أذيب منه ونحوهما من أدام.

(٢) تذكرة الخواص ص ١٢٠.

(٣) نفس المصدر والإمام علي بن أبي طالب ـ محمد رضا ص ١٢.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٣٦٦ عن الإحياء للغزالي.

هذا هو علي في شدة زهده ورغبته عن الدنيا وزخارفها، وفي عظيم أقتدائه برسول الله (ص) وفي مواساته لأهل المتربة من أمته (ص)، فهل حدثك التاريخ عن زعيم كعلي (ع)؟ تجبى إليه الأموال من الشرق والغرب، وعاصمته الكوفة ـ تقع في أخصب أرض الله وأكثرها غنى يومذاك، بيد أنه يعيش أبسط عيش مواسياً لأقل الناس حظاً في العيش في هذه الحياة.. يأكل خبز الشعير دون أن يخرج نخالته.. ويكتفي بقميص واحد لا يجد غيره عند الغسل.. ويحرم على نفسه الأكل مِن بيت المال.. ويرقع مدرعته حتى يستحي من راقعها[1]. مجسداً بذلك أرفع شعار للزاهدين «.. فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوب طمرا، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهى وأوهن من عصفه مقرة»[2].

صدقة الامام (ع):

ولا نريد أن نذهب بعيداً في طرح الشواهد على تعاهد الإمام علي (ع) لأمر الصدقة، قبل أن نستقي من القرآن الكريم نماذج من صدقة الإمام (ع) عطرتها آيات الله تعالى بالثناء الجميل، ورسمت أبعاد الثواب الإلهي العظيم الذي لا يعلم مداه غير الله الذي أعده تبارك وتعالى لأمير المؤمنين (ع):

---

(١) للأستزادة من شواهد زهد الإمام (ع) راجع بحار الأنوار / ٤٠ وتذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، ومناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب المازندراني ج ١ وغيرهم.

(٢) كتابة إلى عثمان بن حنيف رقم النص في نهج البلاغة ٤٥ باب الرسائل، التبر، فتاة الذه والفضة قبل الصياغة. الوفر: المال. الطمر: الثوب. الخلق البالي. إتان دبرة: التي عقر ظهرها فقل أكلها.

ففي حادثة إطعام علي (ع) وأهل بيته (ع) للمسكين واليتيم والأسير على مدى ثلاثة أيام وإيثارهم لهم على أنفسهم، واكتفائهم بالماء وهم في أيام صوم متتالية.. تنزلت آيات الله تعالى مسجلة أعظم مآثر علي (ع) في ضمير الوجود حيث ستبقى ترددها الآفاق والألسنة وصفحات المجد ما شاء الله تعالى.

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلىٰ حُبّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وَأسيراً. إنّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُريدُ مِنْكُم جَزاءً وَلا شُكُوراً. إنّا نَخافُ مِنْ رَبِّنا يَوْماً عَبوساً قَمطَريراً. فَوَقاهُمُ اللهُ شَرَّ ذَلِكَ اليَوْمِ وَلقاهُمْ نَضْرةً وَسُروراً، وَجَزاهُمْ بِما صَبَروا جَنَّةً وَحَريرا﴾.

(الإنسان / ٨ ـ ١٢).

وليس المهم في الأمر حجم ما قدمه الإمام (ع) لأولئك المحتاجين، فإن الكثير من الناس يبذلون أضعاف ذلك.

ولكن شتان بين من ينفق لوجه الله خالصاً دون شائبة، وبين من ينفق من أجل غرض دنيوي أو جاه أو ذكر يشاع بين الناس. كما أنه شتان بين من ينفق كل ما لديه وهو أحوج ما يكون إليه وبين من ينفق بعض ما لديه..

وهكذا يختلف التقويم عند الله تعالى بين ذا وذاك!

وفي حادثة تصدق علي (ع) بخاتمه على مسكين استبدت به الحاجة، فطاف على الناس فلم يجد من يسد خلته، فأشار إليه علي (ع) وهو يصلي في مسجد رسول الله (ص) ومنحه خاتماً في يده.

فنزل القرآن الكريم على رسول الله (ص) مبيناً فضل ما أقدم عليه الإمام (ع) واستعمل القران المناسبة لإرشاد الأمة إلى أن علياً (ع) مرجعها الفكري والعملي بعد رسول الله (ص).

﴿إنّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسولُهُ وَالّذينَ آمَنُوا الّذينَ يُقيمونَ الصلاةَ ويُؤتونَ الزّكاةَ وَهُم راكِعون، وَمَنْ يَتولَّ اللهَ وَرَسُولَهُ والّذينَ آمَنوا فإنّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الغالِبُون﴾.

(المائدة / ٥٥ - ٥٦)

وهـذه الآية الكـريمة من أكثـر النصوص دلالـة على أن العمـل الصالح في منظور الله تبارك وتعالى إنما هو بدوافعه لا بحجم منافعه.

فليس المهم أن تعطي كثيراً، ولكن الأساس في الأمر نية العطاء فالتقييم الرباني إنما يدور مدار النية حيث تدور، فكلما اقتربت من الله تعالى وابتغيت رضوانه كان ثوابك أعظم وأجل..

ومن المنـاسب أن نـطرح إضـافـة إلى ذلـك مصـاديق من سيـرة الإمام (ع) في هذا المضمار مما روته كتب التاريخ.

فعن أبي عبـد الله الصادق (ع) قـال «كـان أميـر المؤمنين يضـرب بـالمر - المسحـاة - ويستخـرج الأرضين، وأنـه أعتق ألف مملوك من كديده»[1].

وعن أيوب بن عطية الحذاء قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: «قسم نبي الله الفيء، فأصاب علياً أرضاً، فـاحتفر فيهـا عيناً، فخـرج مـاء ينبـع كهيئة عنق البعير، فسمـاهـا ينبـع، فجـاء البشيـر يبشـر. فقـال (ع): بشر الـوارث هي صـدقـة بتـة بتـلاء في حجيـج بيت الله، وعابري سبيل الله لا تباع، ولا تـوهب ولا تورث فمن بـاعها أو وهبهـا فعليه لعنة الله والمـلائكة والنـاس أجمعين ولا يقبل الله منه صرفـاً ولا عدلاً»[2].

---

(١) البحار ج ٤١ ص ٧٧ عن الكافي ج ٥.
(٢) نفس المصدر ص ٤٠ عن الكافي ج ٧.

وعن أحمد بن حنبل في الفضائل: أنه كانت غلة علي أربعين ألف دينار فجعلها صدقة»[1].

والحديث عن حرص الإمام (ع) على تعاهد أمر الصدقة في سبيل الله تعالى يذكرنا بالنفس السخية التي يمتاز بها أمير المؤمنين (ع).

فكثرة أدائه للصدقة وشدة بذلك لها وإن كان يعكس صورة صادقة عن جود الإمام (ع) وسخائه، إلا أن سيرته العطرة تكشف إلى جانب ذلك وجهاً آخر من شخصية الإمام.

فقد كان عليه السلام أسخى من الغيث على الأمة التي عايشها لا أقصد بهذا جوده بنفسه من أجل حفظ الرسالة ومسيرة الإسلام التاريخية، ذاك الذي يتجلى عبر البطولات التي أبداها (ع) في حروب الإسلام كلها، فحديث كهذا.. يتطلب بمفرده سفراً كاملاً[2]، وإنما نقصد ما يتعلق بالسخاء بالمال.

فلقد اعترف بجود الإمام (ع) وسخائه أشد الناس عداوة له: معاوية بن أبي سفيان الذي ما برح ينسج الأكاذيب والإفتراءات لتشويه سمعة الإمام (ع) غير أنه لم يستطع أن ينكر فضيلة الجود عند علي (ع) فقد قال له يوماً مخفي ابن أبي مخفي الضبي: جئتك من عند أبخل الناس فقال ابن أبي سفيان: ويحك كيف تقول أنه أبخل الناس، لو ملك بيتاً من تبر - ذهب - وبيتاً من تبن لأنفذ تبره قبل تبنه[3].

---

(١) المناقب - لابن شهر أشوب ص ٣٤٦ والبحار ج١ / ٤١ ص ٤٣ عن كشف المحجة لابن طاووس.

(٢) مررنا مروراً عابراً على مواقف الإمام وبطولاته العسكرية في القسم الأول فراجع.

(٣) شرح النهج ج ١ ص ٢٢.

ويقول الشعبي يصف الإمام (ع): كان أسخى الناس، كان على الخلق الذي يحبه الله: السخاء والجود، ما قال لا لسائل قط[1].

الجهاد في سبيل الله:

وحياة علي أمير المؤمنين (ع) كلها جهاد في سبيل الله تعالى في مرحلة الدعوة، وبعد قيام الدولة الإسلامية، وإذا كان قد وقى الرسول (ص) بنفسه وفداه بوجوده وتعرض لأخطر تآمر جاهلي على حياة رسول الله (ص) عند مبيته على فراشه في ليلة الهجرة المباركة، من أجل أن يصرف عنه شر عتاة الجاهلية. فإن علياً قد تحولت حياته بعد الهجرة إلى المدينة المنورة إلى حلقات متسلسلة من ذلك النوع الجهادي العظيم، فقد كان حامل لواء الزحف الإسلامي في كل غزوات أخيه رسول الله (ص) وطليعة المجاهدين في ساحات الجهاد، وكلما حزبت الأمور وحمي الوطيس انتدبه رسول الله (ص) لكشف زحف العدو عن حياض المسلمين..

وكانت كل مواقفه الجهادية من النوع المصيري الذي يحمي الرسالة ويكشف عنها خطر التصفية المحقق والإجهاز الخطير على وجودها، تجلي ذلك في بدر حين صفى الكثير من رؤوس الوثنيين وملأ بها ساحة المعركة.

وفي «أحد» حين أطبق جيش الضلال على معسكر الإيمان وكانت الغلبة للعدو، نهض الإمام (ع) بدور عرقلة تقدمهم حيث بادر إلى تصفية حملة الألوية من بني عبد الدار واحداً تلو الآخر

وفي غزوة الأحزاب حين بلغت القلوب الحناجر وبلغ الضيق والهلع بالمسلمين كل مبلغ نهض الإمام (ع) بالأمر وأرهب العدو وأعاد

---

(١) نفس المصدر.

للمسلمين الثقة بالنفس حين قتل أبرز قوادهم عمرو بن ود العامري.

حيث كان قتل العامري حداً فاصلاً بين المعسكرين إذ تلاه انهزام جيش الأحزاب مع ما امتاز به من ضخامة في العدد والعدة..

وعلي (ع) هو الذي اقتحم حصون خيبر ودخل عليهم عنوة، ففتح الله على يديه حصون اليهود الرهيبة.

وكم سطر لك من بطولات علي (ع) وصفحات جهادت المشرقة التي تشع بالمجد والعزة والإخلاص؟[1].

فدونك تاريخ الإسلام في عصره الأول: في عهد رسول الله (ص) فأنعم النظر في صفحاته كي تحدثك بفضل علي (ع) على الإسلام رسالة، وأمة، وتاريخاً.

على أن الجانب العبادي في جهاد علي (عليه السلام) ليس في حجم البطولات وعدد المعارك التي خاض غمارها. فحسب وإنما في صدق النية وحجم الإخلاص الذي امتلأ به قلب علي (ع) وهو يخوض تلك الحروب ببسالة فائقة وشجاعة نادرة وصمود لا يرد.

ومن أجل ذلك كان القرآن الكريم يثني على تلك الروح التي كان يحملها أمير المؤمنين عبر كفاحه من أجل إعلاء كلمة الله في الأرض.

فها هو القرآن الكريم يثني على علي (ع) يوم فدى بنفسه رسول الله (ص) «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله» (البقرة ٢٠٧) ويكشف بعمق عن صدق نية الإمام (ع)[2].

---

(١) راجع الحلقة الأولى من دراستنا أمير المؤمنين (ع) فصل بأس في الحرب.

(٢) راجع تفسير الآية في الكشاف للزمخشري والواحدي في أسباب النزول وابن الأثير في أسد الغابة ـ يشرى ـ يبيع.

وهـا هو كتـاب الله العزيـز يقطع بـأن جهاد علي (ع) وبـطولاتـه وتضحياته كانت من أجل الله وإعلاء كلمته في دنيـا الناس، ولا يمكن أن تقرن بأي لون من ألوان العمـل الآخر. فبسبب الثمن البـاهظ الذي يتطلبه الجهاد، وبسبب الدافع الإيماني المخلص الذي لا تشوبه شائبة راحت آيات الله تعالى تحدد الموقع الرفيـع الذي يحتله علي (ع) في دنيا المتقين.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِـدْ الْحَرَامِ كَمَن آمَنَ بِـاللهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ وَجَـاهَدَ فِي سَبِيـلِ اللهِ لاَ يَستونَ عِنْـدَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمينَ﴾.

(التوبة / ١٠٩)

فعلى أثـر حـوار تفـاخـري بين طلحـة بن شيبـة والعبـاس بن عبـد المطلب، قـال فيه طلحـة: أنـا أولى النـاس بـالبيت لأن المفتـاح بيدي.

فقال العباس: أنا أولى، أنا صاحب السقاية والقائم عليها!

وفيما كانا يتفاخـران مر الإمـام (ع) فافتخـر عليهما بقـوله: «لقـد صليت قبل الناس أنـا صاحب الجهـاد» فنزل قـول الله تعالى في ذلـك كـاشفاً عن المستـوى ا لعظيم الـذي يتبوأه علي (ع) من نـاحيـة عمله الإسلامي: ضخامة وإخلاصاً[1]، بعداً وجوهراً.

---

(١) تفسيـر الـطبـري عن أنس ج ١٠ ص ٥٩ وأسبـاب النـزول للواحـدي ص ١٨٢ والقرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ والرازي في تفسيره والنسفي والسيوطي وسواهم، نقلاً عن فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٧٩.



الاخلاق الاجتماعية

١: إشاعة العدل الاجتماعي بين الناس.
٢: تواضع الامام.
٣: حلم الامام.
٤: التورع عن البغي.
٥: شواهد من صبر الامام.



بمقـدور المتتبع أن يتخـذ من وصف ضـرار بن ضمـرة لأميـر المؤمنين (ع) منطلقاً للدخول في عالمه الرحيب.

فقـد دخل ضـرار على معـاويـة ـ أيـام استكـان النـاس وأسلمـوا لمعاوية القيـاد ـ فألـح على الرجـل أن يصف له عليـاً (ع) فتردد ضـرار كثيراً، فلما مضى معاوية في إصراره قال ضرار:

أمـا إذا لا بد «فكـان والله بعيد المـدى، شـديـد القـوى، يقـول فصـلاً، ويحكم عدلاً، يتفجـر العلم من جوانبـه، وتنطق الحكمـة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته.

كان والله غزير الدمعة، كثير الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.

كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألنـاه، ويبتدئنـا إذا أتيناه، ويـأتينا إذا دعوناه.

ونحن والله مع قربه منا، ودنوه إلينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته، فإن تسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم.

يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله.

فأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه ليلة، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل قائماً في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول:

يا دنيا غري غيري أبي تعرضت أم إلي تشوقت، هيهات، هيهات!! قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك، فعمرك قصير وعيشك حقير وخطرك كبير. آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق»[1].

وهذا الوصف للإمام (ع) على وجازته يكشف بعمق عن الإطار العام لشخصية الإمام (ع) في شتى ملامحها في الحقل الروحي والإجتماعي، في علاقته بربه، وعلاقته مع نفسه، وكيفية تعامله مع الناس من حوله.

وحيث قد عقدنا هذا الفصل للحديث عن الأخلاق الإجتماعية التي التزم بها (ع) في حياته العملية، فإن حديث ضرار يضع في أيدينا رأس الخيط الذي يوصلنا إلى طبيعة العلاقات الإجتماعية التي سلكها أمير المؤمنين في حياته (كان والله كأحدنا يجيبنا إذا سألناه ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دنوناه، ونحن والله مع قربه منا ودنوه إلينا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه لعظمته.. يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، ولا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله..».

---

(١) تذكرة الخواص ص ١٢٧ - ١٢٨ والإمام علي بن أبي طالب - محمد رضا ص ١٢.
تشوقت: تزينت.

ويبدو أن هذا اللون من علاقة أمير المؤمنين مع قومه إنما كان في أيام حكمه، مما يطرح بين أيدينا تصوراً ناضجاً عن عظمة أمير المؤمنين (ع) وبلوغه القمة في مدارج الكمال والفضيلة، فمع أن الإمام (ع) كان يحتل موقع القيادة في دنيا الناس، وبيده أزمة حياتهم الفكرية والإجتماعية، نراه كواحد من عامة الناس، وكان موقعه ليس في أعلى مركز قيادي فهو يلغي الحواجز والألقاب، ويعامل الأمة كما لو كان واحداً من عامتها بقلب حان، ونفس متواضعة، وحب صادق عميق.. وهي روح لم يألفها التاريخ الإنساني منذ الآماد الموغلة في القدم حتى اليوم في قيادة غير قيادة رسول الله (ص) ووصية علي (ع)..

وقد وفق الإمام (ع) توفيقاً عظيماً في قيادة الواعين لأهمية قيادته في دنيا المسلمين على الأقل.

فقد كانت قيادته مبنية على الحب والإجلال معاً فبقدر ما كان يبذل من دفء وده للأمة، كان أتباعه يمنحونه الكثير من الود والتعظيم..

الأمر الذي يذكرنا بسياسة رسول الله (ص) ويطرحها واقعاً حياً في دنيا الناس[1]، فالتجربة واحدة في هذا المضمار وسواه، وإن تغير الموقع التاريخي.. ورحم الله صعصعة ابن صوحان حيث يقول في وصفه للإمام (ع) «كان فينا كأحدنا لين جانب، وشدة تواضع، وسهولة قياد، وكنا نهابه، مهابة الأسير المربوط للسياف الواقف على رأسه»[2] وتتجلى عظمة الإمام (ع) في أخلاقه الإجتماعية من خلال المبادىء الآتية:

---

(١) راجع القسم الثالث من سيرة المصطفى (ص) للمؤلف.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥.

أولا ـ اشاعة العدل الاجتمعي بين الناس:

جاءت الخلافة للامام (ع) في ظروف بالغة الخطورة والتعقيد، فذوو النفوذ من الناس قد ألفوا الإستئثار واستراحوا إليه، وليس يسيراً أبداً أن يذعنوا لأية محاولة إصلاحية تضر بمصالحهم الذاتية.

ثم إن المطامع قد تنبهت لدى الكثير من الرجال، بعد أن أصبحت الخلافة مغنماً لا مسؤولية لحماية الشريعة والأمة، ولقد كان الإمام (ع) مدركاً لحقيقة الموقف بدقائقه وخفاياه بشكل جعله يعتذر عن قبول الخلافة حين أجمعت الأمة على بيعته بعد مقتل الخليفة عثمان قائلاً: «دعوني والتمسوا غيري فأنا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة تنكرت..»[1]. ولكن جماهير المدينة المنورة، وجماهير الثوار من العراق ومصر أصروا على استخلافه عليهم، فنزل الإمام عند رغبتهم، ولكن وفقاً لشروطه الخاصة ـ هو «واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب»[2].

ولقد كانت أولى مهام الإمام (ع) أن يجسد العدالة الإجتماعية في دنيا الناس ويمنح المنهج الإسلامي فرصة في البناء والتغيير على شتى الأصعدة، فدشن (ع) خططه الإصلاحية، بإلغاء السياسة المالية والإجتماعية والإدارية التي كان معمولاً بها ليوفر الجو المناسب لتطبيق المخطط الإسلامي في العدالة الإجتماعية:

أ ـ استرجاع الأموال التي تصرف بها بنو أمية من بيت المال.

---

(١) و(٢) نهج البلاغة ص ١٣٦ تبويب صبحي الصالح.
المحجة: الطريق، تنكرت: تغيرت علائمها وأصبحت مجهولة.

ب ـ واستغنى عن كثير من الولاة الذين أساؤوا التصرف، وخالفوا أمر الله تعالى، وتخطوا منهجه الأقوام الذي ارتضاه لعباده..

جـ ـ ثم بـادر إلى تبني سياسـة المساواة في تـوزيع المـال والحقوق، منهياً بذلك دور الطبقية والتمييز والأثرة:

«المـال مال الله، يقسم بينكم بـالسويـة لا فضل فيـه لأحد على أحد»[1].

«إلا لا يقولن رجال منكم غدا قد غمرتهم الدنيا فامتلكوا العقار، وفجروا الأنهار، وركبوا الخيل، واتخذوا الوصائف المرققة، إذا منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأصرتهم إلى حقوقهم التي يعلمون، حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا!»[2].

وتبنىٰ الإمام سياسة العدل الشامل:

ـ في معاملة أفراد الأمة.

ـ وفي منهج الحقوق.

ـ وفي توزيع المسؤوليات.

وكـان منهـج الإمـام (ع) في العـدل لا ينـاظـره إلا منهـج رسول الله (ص) إن لم نقل أنه منهج الرسول (ص) بالذات.

فهلم نضع إلى منهاجه المتبني في سياسة الأمة بالعدل من خلال حديثه (ع). «.. والله لئن أبيت على حسك السعد إن مسهـداً، وأجر في الإغـلال مصفداً، أحب إلي من أن ألقي الله ورسوله يـوم القيامـة ظـالماً لبعض العبـاد، وغاصبـاً لشيء من الحطام.. والله لـو أعـطيت الأقـاليم السبعة بمـا تحت أفلاكهـا على أن أعصى الله في نملة أسلبها

---

(١) و(٢) نفس المصدر.

جلب شعيرة ما فعلت، وأن دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جرادة تقضمها، ما لعلي، ونعيم يفني ولذة لا تبقى، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين»[1].

«الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له»[2].

«وأيم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه، ولأقودن الظالم بخزامته حتى أورده منهل الحق وإن كان كارهاً. . .»[3].

ولم تكن هذه المبادىء التي يتحدث عنها الإمام (ع) ذاته، أمنيات وأفكاراً طرحها في دنيا المبادىء والأفكار، وإنما جسدها واقعاً حياً قبل أن يطرحها فكراً. .

وهي خصيصة من خصائص علي (ع) فالقول عنده يعقب العمل أو يجري من طبيعته. .

ومن أجل ذلك ملأ الإمام (ع) دنيا المسلمين قسطاً وعدلاً وحقق انقلاباً في واقع المسلمين على الصعيد الإجتماعي والإقتصادي والسياسي وفقاً لمقتضيات العدل الإلهي فأعاد بذلك أيام رسول الله (صٓ) في صفائها وإشراقها وعدلها الشامل. .

فحسبك أن أمير المؤمنين (ع) كان يرتدي القميص المرقوع[4] ويبالغ في رقع مدرعته كلما تمزق جانب منها حتى يبلغ الأمر بالإمام (ع) أن يستحي من راقعها[5].

---

(١) نهج البلاغة تبويب د ـ صبحي الصالح رقم النص ٢٢٤.
حسك: شوك.
والسعدان: نبت ضائك ترعاه الإبل.
(٢) روائع من نهج البلاغة ص ١٢٣.
(٣) نهج البلاغة رقم النص ١٣٦.
(٤) و (٥) تذكرة الخواص ص ١٢٥.

وكان يخرج إلى السـوق ليبيع سيفـه كي يشتري بثمنـه أزراراً[1] وهو في علو شأنـه وعظمة مركزه الذي يحتـل في دنيا المسلمين حيث تجبى إليه الأموال من أقاليم الدولة الإسلامية جميعها، وثروات الدولـة تحت تصرفه..

وكان يأكل خبز الشعير بنخالتـه وكان غـالب أدامه اللبن أو الملح والماء..

ولم يكن لـلإمـام (ع) غيـر قميص واحـد لا يجـد غيره عنـد غسله[2].

ومع شدة زهد الإمام (ع) في الدنيا، فقد كان حريصاً على توفير الـرفاه الإقتصـادي للأمـة التي اضطلع بقيـادتها، فكـان يقسم الـذهب والفضة بين الناس، ويطعمهم اللحم والخبز[3] ويعمل كل ما في وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم.

ـ وكان بيت المال لا يكاد ترد إليه الأموال حتى يبـادر الإمام (ع) إلى توزيعها على الناس، لإعطاء كل ذي حق حقه.

ـ وكان منهاجه في توزيع المال التزام أقصى درجات العدالة...

فها هو يخاطب الزبير وطلحة حينما كبر عليهمـا منهاج المسـاواة في العطاء «.. فوالله ما أنا وأجيري هذا إلا بمنزلة واحدة»[4].

وها هو سهل بن حنيف يخاطبه: يا أمير قد أعتقت هـذا الغلام، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف»[5].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٠٠.
(٢) المناقب للمازندراني ج ٢ ص ٩٧ عن أحياء العلوم للغزالي.
(٣) من حديث للإمام الصادق(ع) البحار ج ٤٠ ص ٣٣٠.
(٤) و (٥) مناقب ابن شهر آشوب ج/ ١ ص ٣٧٨.

ويأتيه عاصم بن ميثم ـ وكان الإمام (ع) يقسم أموالاً ـ فقال.

ـ يا أمير المؤمنين إني شيخ مثقل.

فقال الإمام (ع):

والله ما هي بكد يدي ولا بتراثي عن والدي، ولكنها أمانة أوعيتها[1].

وجاءه عبد الله بن زمعة ـ وهو من شيعته ـ يطلب منه مالاً.

فقال له الإمام (ع):

ـ إن هذا المال ليس لي ولا لك، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم، وإلا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم[2].

ويدخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال يتولى بعض شؤون المسلمين، فأطفأ الإمام (ع) السراج وجلس في ضوء القمر[3]، فالسراج ملك الأمة، فلا يصح أن يستضيء به ابن العاص، وهو في زيارة خاصة للإمام (ع)!

حرص فريد على أموال الأمة، وسهر دائم على مصلحتها وعمل دائم من أجل إسعادها وهدايتها وإصلاح شأنها.

على أن تعاهد أمر الأمة من لدن علي (ع) ليس محصوراً في إطار المال وتوزيعه وإنما يمتد لكي يشعر الإنسان بكرامته ويعيد وعيه

---

(١) نفس المصدر ص ٣٧٧.

(٢) البحار ج ٤١ ص ١١٥ ونهج البلاغة رقم النص ٢٣٢.

(٣) المناقب ص ٣٧٧.

بحقه في الحياة الحرة الكريمة، ويعلمه أن يتمرد على الظلم والكبت وسلب الإرادة:

- «لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرآ».

- «أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والإحكام وإمامة المسلمين البخيل، فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول، فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم، فيذهب بالحقوق، ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»[1].

- «فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة، ولا تظنوا بين استثقالاً في حق قيل لي، فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن يعرض عليه كان العمل بهما أثقل عليه! فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل»[2].

وتمتد ظلال العدالة في عهد أمير المؤمنين (ع) فيرعى أسواقهم من ناحية المكاييل والمعروض من السلع وطبيعة المعاملات فيها، فيخرج كل يوم يتفقد أسواق المسلمين بنفسه فيرشد الضال، ويهدي المقصر إلى طريق الحق، ويأمر بكل معروف، وينهى عن المنكر. .[3].

ولشدة حرص الإمام (ع) على تطبيق العدالة الإسلامية بأروع

---

(١) نهج البلاغة رقم النص ١٣١.

(٢) نهج البلاغة رقم النص ٢١٦.

(٣) راجع البحار ج ٤١ ص ١٠٤ للإطلاع على منهاجه في مراقبة حالة السوق.

صورها في دنيا الناس، وعلى شتى الأصعدة أنه وجد درعه عند رجل نصراني، فوقف معه أمام القاضي ليقاضيه في الأمر.

فقال الإمام (ع): إنها درعي، ولم أبع، ولم أهب.

فسأل القاضي الرجل النصراني: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين؟

قال الرجل: ما الدرع إلا درعي وما أمير المؤمنين عندي بكاذب.

فالتفت القاضي للإمام (ع): طالباً بينة تشهد أن له الدرع.

فضحك الإمام (ع) معلناً أنه لا يملك بينة من ذلك النوع. فقضى القاضي بأن الدرع للنصراني، فأخذها ومضى، والإمام ينظر إليه.

إلا أن الرجل عاد وهو يقول: أما أنا فأشهد أن هذه أحكام أنبياء، أمير المؤمنين يدينني إلى قاض يقضي عليه..

ـ الدرع ـ والله ـ درعك يا أمير المؤمنين، وقد كنت كاذباً فيما أدعيت[1].

وحصيلة الأمر أن يعلن الرجل إسلامه ويخلص في الوقوف تحت راية الإمام (ع) مؤمناً مجاهداً ذائداً عن رسالة الهدى..

وبقدر ما كان الإمام (ع) حريصاً على تجسيد روح العدالة التي صدع بها رسول الله (ص) لإخراج الإنسان من ظلام الظلم والقهر والكبت، كان حريصاً كذلك على إلزام ولاته وقضاته وقادة جيوشه، وجباة الأموال بالتزام العدل في معاملة الناس، وتحري الحق في

(١) علي وحقوق الإنسان ـ جورج جرداق ط بيروت ١٩٧٠ ص ٨٧.

الحكم والقضاء وإعطاء الحقوق، وفي جمع المال وحتى في حالات الحرب وسواها..

وصايا للولاية:

وهذه بعض وصاياه في هذا المضمار:

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب فإنه طيرة من الشيطان، واعلم أن ما قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار»[1].

«أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك، ومن لك فيه هوى من رعيتك، فإنك إلا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده..»[2].

ومن توجيهاته (ع) لجباة الأموال:

«... انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا تروعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي، فأنزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم أمض - بالسكينة والوقار حتى تقوم بينهم، فتسلم عليهم، ولا تخدع بالتحية لهم، ثم تقول:

عباد الله، أرسلني إليكم ولي الله، وخليفته لأخذ منكم حق الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق، فتؤدوه إلى وليه..)[3].

---

(١) وصيته لعبد الله بن عباس حين ولاه البصرة رقم النص ٧٦ نهج البلاغة.

(٢) نفس المصدر - عهد الإمام (ع) لمالك الإشترحين ولاه مصر.
طيرة: خفة وطيش.

(٣) منهج البلاغة رقم النص ٢٥ - لا تخدع بالتحية: لا تبخل بها عليهم.

«إياك أن تضرب مسلماً أو يهودياً أو نصرانياً في درهم خراج، أو تبيع دابة عمل في درهم، فإنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»[1].

ومن تعليماته لجيوشه:

ولقد كان (ع) يوصي جنوده في حالات الحرب بألا يبدأوا بقتال العدو، حتى يبدأهم بالحرب، ولا يقتلوا من ولي دبره عن قتالهم، ولا يقتلوا الجريح ومن عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب، ولا يؤذوا النساء بشيء حتى وإن بدأن بسب أو شتم[2].

ونحو ذلك من وصاياه (ع).

أرأيت عدلاً رفيعاً كهذا العدل؟

بل هل حدثك التاريخ الإنساني عن رجل يحب الخير حتى لخصومه الذين ناصبوه العداء؟

إنه علي (ع) صاحب القلب الكبير، الذي شمل الناس بحب غامر، فبسط لهم العدل في حياتهم، وأشعرهم بحقيقة الكرامة الإنسانية ووفر لهم غطاء من الأمن والإستقرار في جو الشعور بالمساواة والحياة الحرة الكريمة.

ثانيا ـ تواضع الامام:

خلق التواضع في معاملة الناس، بقدر ما يكون عبادة إسلامية يندب الشرع الإلهي إليها، كذلك يعبر عن إحدى صيغ التعامل الفاضل بين أبناء الأمة، فهو من وسائل توحيد الكلمة وجمع الشمل،

---

(١) من وصيته لصاحب الخراج على القادسية وسواد الكوفة أنظر بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٢٨ نقلاً عن الكافي، العفو: الفاضل عن النفقة.

(٢) راجع نهج البلاغة رقم النص ١٤ وغيره.

وإشاعة المودة وإلغاء التفاوت الطبقي.

ولقد كان الإمام علي (ع) مثلاً أعلى في تواضعه كما كان رسول الله (ص) من قبل.

وسيرته العطرة تطرح المزيد من الشواهد على ذلك الخلق الإسلامي الرفيع:

فعن الإمام الصادق (ع) يقول: «كان أمير المؤمنين يحطب ويستسقي ويكنس، وكانت فاطمة تطحن وتعجن وتخبز»[1].

وكان الإمام (ع) يشتري حاجته وحاجة أسرته الكريمة من السوق بنفسه، ويحملها بيده، وهو أمير المؤمنين، ويحظى باحتلال أرفع مركز في حياة المسلمين، ولقد كان الناس يسرعون إليه لحمل أشيائه حين يرون ذلك منه، ولكنه يأبى عليهم ويقول: رب العيال أحق بحمله[2].

وكان (ع) يسير في الأسواق وحده، لا يصحبه حشم ولا خدم، ولا جند، فيرشد الضال، ويعين الضعيف، ويمر بالبقالين والتجار ويأمرهم بالتواضع وحسن المعاملة ويتلو عليهم قوله تعالى ﴿**تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين**﴾[3].

ومن عظيم تواضعه (ع) أنه خرج يوماً على أصحابه وهو راكب، فمشوا خلفه، فالتفت إليهم فقال:

ـ ألكم حاجة؟ قالوا:

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ٣٧٢.
(٢) نفس المصدر نقلاً عن فضائل ابن حنبل.
(٣) المناقب ص ٣٧٢ وبحار الأنوار / ٤١ ص ٥٤.

ـ لا يا أمير المؤمنين، ولكنا نحب أن نمشي معك.

فقال لهم:

ـ «انصرفوا فإن مشي الماشي مع الراكب مفسدة للراكب ومذلة للماشي»[١].

وقد استقبله زعماء الأنبار وترجلوا وأسندوا بين يديه فقال (ع):

ـ ما هذا الذي صنعتموه؟ قالوا:

ـ خلق منا نعظم به أمراءنا.

فقال (ع):

ـ «والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم، وإنكم لتشقون به على أنفسكم، وتشقون به في آخرتكم، وما أخسر المشقة وراءها العقاب، وما أربح الراحة معها الأمان من النار»[٢].

ومن تواضعه الجم أكله خبز الشعير واللبن، ولبسه أبسط أنواع اللباس، وترقيعه لثوبه البالي، وبساطته في مسكنه[٣] ووقوفه بين يدي القاضي مع رجل من عامة الشعب الذي يضطلع الإمام (ع) بقيادته[٤].

ومن أدبه الكامل تسليمه على النساء[٥] من قومه، ومشيه مع المرآة لقضاء شأن من شؤونها حتى وإن جلب له الأمر مشقة، فعن الإمام الباقر (ع) قال:

---

(١) البحار ص ٥٥ عن المحاسن والكافي عن الصادق (ع).

(٢) المناقب ص ٣٧٢ والبحار ج ٤١ ص ٥٥.

(٣) للتفاصيل راجع الحلقة الثانية من هذه الدراسة وبعضاً من فصول هذه الحلقة: كزهد الإمام (ع) وإقرار العدل.

(٤) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٦ وعلي وحقوق الإنسان ـ جرداق ص ٨٧.

(٥) الكافي ج ٥ باب التسليم على النساء حديث رقم ٣.

«رجع الإمام (ع) إلى داره في وقت القيظ، فإذا امرأة قائمة تقول:

- إن زوجي ظلمني، وأخافني، وتعدى علي..

فقال الإمام:

- يا أمة الله أصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك إن شاء الله، فقالت:

- يشتد غضبه عليّ.

فطأطأ الإمام (ع) رأسه ثم رفعه وهو يقول:

- لا والله أو يأخذ للمظلوم حقه غير متعتع! أين منزلك؟

ووقف الإمام (ع) على باب المنزل فقال:

- السلام عليكم، فخرج شاب.

فقال له الإمام (ع):

- يا عبد الله اتق الله، فإنك قد أخفتها وأخرجتها!

فقال الفتى:

- وما أنت وذاك؟ فقال أمير المؤمنين:

- آمرك بالمعروف، وأنهاك عن المنكر تستقبلني بالمنكر وتنكر لمعروف؟

فأقبل الناس يلقون التحية على الإمام (ع):

- سلام عليكم يا أمير المؤمنين.

فأسف الشاب على ما كان منه وهو يقول:

ـ يا أمير المؤمنين أقلني عثرتي ، فوالله لأكونن لها أرضاً تطوّني .

فالتفت الإمام إلى المرأة قائلاً:

ـ يـا أمة الله ادخلـي منـزلـك ولا تلجئي زوجـك إلى مثـل هـذا وشبهه»[1] .

وكان الإمام (ع) قريباً سهـلاً هيناً يلقي أبعـد الناس وأقـربهم بلا تصنع ولا تكلف، ولم يحط نفسه بالألقاب ولا زخرفة الملك، بل كان يتعـامـل مـع الأمـة كفـرد منهـا، يعيش مشـاكـل الضعفـاء، ويحب المساكين، ويتودد للفقراء، ويعظم أهل التقوى من الناس.

ولقد كان من شواهد رفقه بالأمة وتواضعه في المعاملة وسهولته، ومـرونته: مقـابلته لمن يلقـاه بالبشـر وطلاقـة المحيا والإبتسـامة الحلوة وبشر الوجه، إلغاء منه للحواجز والرسميـات بين القيادة والأمـة، وإنهاء لـدور الزخـرفة والألقـاب التي يحيط بهـا الأمـراء والقـادة أنفسهـم عبـر تعاملهم مع الناس.

ولاشتهَـارهِ بتلك الروح الإجتمـاعيـة السمحـة بين عـامـة النـاس حاول أعداؤه أن يشوهوا تلك الميزة في الإمام (ع) ويحولوها إلى عيب ينبزونه فيه إمعاناً منهم في تشويه واقع سياسته وجميل صفاته الشخصية والإجتماعية.

فعمرو بن العاص يحدث أهل الشام عن علي (ع) فيقول: إنه ذو دعـابة شـديدة[2] محـاولاً الإنتقاص من شـأن الإمام (ع) والإمعـان في تغطية فضائله، والعمل على كل ما من شأنه تضليـل الناس هنـاك لكي يحال بينهم وبين التطلع لواقع الإمام (ع) وحقيقته.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٣٧٤.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥.

حتى إن الإمـام (ع) حين بلغه افتـراء ابن العاص قـال: «عجبـاً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أن في دعابة وإني امرؤ تلعـابة»[1] .

ولقـد كان معـاوية بن أبي سفيـان يشيـع مـا يشيعـه ابن العـاص كذلك في مناسبة وأخرى.

وما يضير أمير المؤمنين (ع) إذا عابه معاويـة وابن العاص، فلقـد كان عليه السلام يقتفي أثر رسول الله (ص) في سماحة أخلاقـه وطلاقـه محياه سواء بسواء.

وكان (ع) يعمل على الإلتصاق بالنـاس للتعرف على مـا يعانـون حتى أنـه كان يمشي في الأسـواق ويتابـع الحركـة التجاريـة من ناحيـة الـوزن والإسعار ونـوعية المعـروض من السلع ـ كما المحنـا إليـه قبـل قليل.

وكان الإمام (ع) حريصاً على متابعة تصرفات الولاة في البلدان، والقادة وجباة الأموال، ويأمرهم بالرفق والتواضع في معاملة الناس.

ومـا أروع روح التواضـع عنـد علي (ع) كمـا يصفهـا ضـرار ابن ضمرة في حديثه لمعاويـة ـ الذي افتتحنـا به هـذا الفصل ـ «يعجبـه من اللباس ما خشن، ومن الطعام مـا جشب، . . كان والله كـأحدنـا يجيبنا إذا سألناه، ويبتدئنا إذا أتيناه، ويأتينا إذا دعونـاه. . يعظم أهـلَ الدين، ويحب المساكين»[2] .

ثالثا: حلم الامام:

ولقـد كان الإمـام (ع) قمـة في حلمـه وعفـوه عمن يسيء الأدب

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٥ .
تلعابة: كثير المرح واللعب.

(٢) المناقب ج ١ ص ٣٨١.

معه، فهو لا يعرف الغضب إلا حين تنتهك للحق حرمته أو تتعدى حدود الله تعالى، أو يتعدى على حقوق الأمة وتضر مصلحتها.

وخلق الإمام (ع) في الحلم والصفح عن المسيء ظل هو هو لم يتغير، فعلي (ع) في صفحه وحلمه قبل خلافته، كعلي في صفحة وعفوه أيام قيادته المباشرة للأمة، على أن عظمة الإمام (ع) تزداد قوة وجلاء حين يظل يصفح ويمعن في عفوه حتى عن أشد خصومه في وقت يمتلك القدرة على العقاب والإرهاب والقتل.

فهو في أيام خلافته في مركز يؤهله أن يقتص من خصومه، فهو رئيس الدولة، والمطاع الأول بين أتباعه غير أنه مع هذا وذاك ظل يحمل نفس الروح من العفو والتجاوز كما كان رسول الله (ص) سواء بسواء.

وهذه نماذج من عفوه:

- أسر مالك الأشتر (رضي) مروان بن الحكم يوم الجمل فلما مثل مروان بين يدي الإمام (ع) لم يستقبله بسوء قط، وإنما عاتبه على موقفه الخياني اللئيم فحسب[1] ثم أطلق سراحه ومروان هو هو في حقده على الإسلام والإمام (ع)، وهو في دسائسه ومكره، ودوره الخبيث في تأجيج الفتن في وجه الإمام (ع) أشهر من أن نذكره، فهو الذي عارض البيعة للإمام (ع) وهرب من المدينة المنورة بعد البيعة مباشرة، وهو الذي ساهم في فتنة البصرة، وألهب الناكثين وأغراهم بالتعجيل بها.. إلى غير ذلك من مواقفه الخسيسة.

- ولقد عفا الإمام (ع) كذلك عن عبد الله بن الزبير[2] بعد أسره

---

(١) المناقب ج ١ ص ٣٨ ونهج البلاغة نص ٧٣.
(٢) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٢.

يوم الجمل، وعبد الله بن الزبير هو الذي كان يقود الفتنة في حرب الجمل.

- وجيء بموسى بن طلحة بن عبيد الله، وكان طرفاً في فتنة الجمل فلما وقف بين يدي الإمام (ع) خلى سبيله، ولم يعنفه عن دوره في الفتنة، وإنما طلب منه أن يستغفر الله ويتوب إليه ثم قال:

اذهب حيث شئت، وما وجدت لك في عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه، واتق الله فيما تستقبله من أمرك وأجلس في بيتك[1].

ومن عظيم عفوه ما رواه الإمام الباقر (ع) قال: «كان علي (ع) إذا أخذ أسير في حروب الشام أخذ سلاحه ودابته واستحلفه أن لا يعين عليه»[2].

أرأيت موقفاً إنسانياً كهذا الموقف؟

لقد كان الإمام (ع) مدركاً أن الذين يقاتلونه من أهل الشام إنما يقاتلونه وهم عن حقيقته غافلون، فقد أغراهم معاوية بالمال، وسد عليهم منافذ التفكير والوعي على الحقائق بما استخدمه من وعاظ وسوء وواضعي حديث ممن باعوا ضمائرهم للإنحراف صوب الجاهلية.

وبناء على هذا الوعي العلوي لحقيقة مقاتليه ممن أغراهم معاوية وغرر بهم، فقد سبق حلم الإمام (ع) عدله في معاملتهم فلم يعاقب من اتخذ منهم أسيراً، وإنما يجرده من أداة الشر، ويضعه أمام الله والضمير كي لا يعود لقتال معسكر الحق الذي يقوده الإمام (ع).

---

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٥٠ نقلاً عن النهاية.
الكراع: جمع الخيل.

(٢) المناقب ج ١ ص ٣٨١ عن ابن بطة والسجستاني.

ويذكرنا هذا الموقف الكريم بموقف معاوية وعمرو بن العاص اللذين كانا يصران على قتل الأشراف من جيش الإمام (ع)، بيد أنهما خشيا الفضيحة إذا أقدما على ذلك بعد أن خلى الإمام (ع) عن أسراهم ابتداء فعدل معاوية وصاحبه عن موقفهما لا لطيب خلق منهما، وإنما خشية نقمة الرأي العام الإسلامي[1].

ولم نذهب بعيداً وتلك معركة صفين تحمل أحداثها الكثير الكثير من مواقف الصفح العلوي... فحين سبق جيش معاوية إلى ماء الفرات أصر على منع الماء عن جيش علي (ع).. فأوفد الإمام (ع) لمعاوية وفداً كي يغير موقفه. ولكنه مضى في إصراره وموقفه اللا أخلاقي...

فاضطر الإمام (ع) لتحريك قوة من جيشه لفك الحصار. وكانت النتيجة أن سيطر جيش الإمام (ع) على الماء.. ولكن علياً حمله حلمه الرفيع وكرم نفسه على بذل الماء لخصمه قائلاً لجنوده:

«خذوا من الماء حاجتكم وارجعوا إلى عسكركم. وخلوا عنهم فإن الله عز وجل قد نصكم عليهم بظلمهم وبغيهم»[2].

ولقد كان مقدراً للإمام (ع) أن يذيقهم الهزيمة الشاملة لو أنه منعهم الماء وحال بينهم وبينه، ولكنها الأخلاق الإلهية التي يتمسك بها ويجسدها حية في دنيا الناس تأبى عليه ذلك اللون من المواقف.. حتى يقع التمييز الحاسم بين منهج الهدى والصراط المستقيم في الفكر والعمل الذي يمثله علي (ع) وبين سبيل الإنحراف والإلتواء واللا أخلاق التي يجسدها معاوية بن أبي سفيان..

---

(١) الإمام علي بن أبي طالب ـ محمد رضا ص ٢٢٣.

(٢) نفس المصدر ص ١٧٣.

ولنا أن نعرض شواهد من حلم الإمام (ع) وعظيم صفحه في حياته الخاصة كذلك:

- «دعا الإمام (ع) غلاماً له مراراً فلم يجبه، فخرج فوجده على باب البيت فقال:

ما حملك على ترك إجابتي؟ قال:

كسلت عن إجابتك، وأمنت عقوبتك. فقال (ع):

الحمد لله الذي جعلني ممن يأمن خلقه، أمض فأنت حر لوجه الله»[1].

- وقد خاطبه رجل من الخوارج بقوله «.. قاتله الله كافراً ما أفقهه!».

فوثب أصحاب الإمام (ع) ليقتلوه.. فقال الإمام (ع):

رويداً إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب[2].

وهكذا شمل الرجل بعفوه، وحال بين القوم وبين معاقبته.

هذا وفي سيرة الإمام (ع) الكثير من مثل هذه المواقف التي تعبر عن خلق الهي كريم أطرت به شخصية علي (ع)، على إننا لو غضضنا الطرف عن كافة مواقف الحلم التي اصطبغت بها حياة علي (ع) بالنسبة إلى المسيئين له أو أعدائه لكان في موقف الإمام (ع) من قاتله ابن ملجم المرادي أعظم شاهد على تمتع الإمام (ع) بنمط من الأخلاق السامية لم يتمتع بها سوى الأنبياء والمقربين من البشر، فهل أنبأك التاريخ عن إنسان عامل عدوه بنفس الروح التي عامل بها

---

(١) المناقب ج ١ ص ٣٧٩.

(٢) نفس المصدر ص ٢٨٠ وبحار الأنوار ج ٤١ ص ٤٩.

علي (ع) قاتله، لقد شدد الإمام (ع) على أهل بيته أن يطعموا قاتله ويسقوه ويحسنوا إليه فعن الإمام الباقر (ع) وهو بصدد ذكر إحدى وصايا الإمام أمير المؤمنين (ع) في آخر حياته يقول:

أن علي بن أبي طالب عليه السلام.. قال للحسن والحسين (ع): «احبسوا هذا الأسير - يعني ابن ملجم المرادي - وأطعموه وأسقوه، وأحسنوا إساره فإن عشت فأنا أولى بما صنع في، إن شئت استقدت وإنشئت صالحت، وإن مت فذلك إليكم، فإن بدا لكم أن تقتلوه فلا تمثلوا به»[1].

رابعا - التورع عن البغي:

والتورع عن البغي أصل من أصيل نفسية الإمام (ع) وخلق من أخلاقه الكريمة، وهو مظهر من مظاهر التقوى التي يمتاز بها، فهو يتحاشى البغي حتى على أشد الناس خصومة له وللحق الذي هو عليه، وحتى إذا بغى عليه يبقى مصراً على التزام خطه في النأي عما له صلة بأي لون من ألوان البغي..

ومن أجل ذلك كان الإمام (ع) داعية السلم الأكبر، مع كثرة الشغب والفتن التي أثارها بعض الناس في طريق مسيرته الإصلاحية:

- بذل كل ما في وسعه أن يجنب الأمة المسلمة سفك الدماء وتمزق الصف، حين ألح على الزبير وطلحة أن يعدلوا عن موقفهم، سواء من خلال المراسلة، أم الوفود أم اللقاءات الشخصية المباشرة مع الزبير وطلحة[2].

ولقد بلغ الأمر بالإمام (ع) حين التقى الجيشان في البصرة

---

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ٢٠٦ باب ١٢٧.

(٢) تذكرة الخواص ص ٧٦.

أن يدعو الزبير فيخرج الإمام (ع) بلا سلاح، ويعانقه طويلاً! وربما بكى علي (ع) في ذلك الموقف، ثم عاتب الزبير على خروجه لقتاله، وذكره بعلائق المودة القديمة بينهما كما ذكره بقول رسول الله (ص) فيهما: «أنشدك الله يا زبير أما تذكر، قال لك رسول الله (ص) يا زبير أتحب علياً، فقلت وما يمنعني من حبه، وهو ابن خالي؟

فقال (ص): أما أنك ستخرج عليه وأنت له ظالم.

فقال الزبير: اللهم بلى، قد كان ذلك[1].

وحين أفلت الزمام وأصر الناكثون على إشعار نار الحرب بقي الإمام (ع) عند موقفه الرافض للبغي والعدوان، فلنصغ إليه وهو يخاطب جنوده: «أيها الناس أنشدكم الله أن لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تستحلوا سبياً ولا تأخذوا سلاحاً، ولا متاعاً»[2].

وحتى بعد انتهاء المعركة بقي الإمام (ع) عند موقفه النائي عن العدوان فأعلن العفو العام عن جميع المشتركين في حربه: القيادات والقواعد على حد سواء[3].

ـ وذاك الخلق العلوي تجلى في حوادث صفين من بدايتها إلى نهايتها: يقطع البغاة عن طريق الوصول إلى الماء وهو في حيويته لجيش مقاتل كبير فلا يبادر لاستعمال العنف، بل يرسل الوفود، ويبذل المحاولات لتغير الموقف بالتي هي أحسن.. لكي لا تراق للمسلمين

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص ٦١ وفي تذكرة الخواص رواية مشابهة وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧٦ مثلها.

(٢) الفصول المهمة ص ٦٢ وتذكرة الخواص أيضاً.

(٣) راجع القسم الثاني من هذه الدراسة.

دماء.. ولكن البغي الأموي الحاقد الذي يجسده قولهم «ولا قطرة حتى تموت ظمآ»[1] حمله على إصدار أوامره لقواته بالتحرك لكسر الحصار وهكذا كان.. وحين أمتلك الماء أباحه لجيش عدوه منذ الساعة الأولى من سيطرة قواته عليه.

- ومع أصحاب النهروان بذل الإمام (ع) كل مسعى لأجل إبعاد الناس عن القتال، ولكن إصرارهم على قتال الإمام (ع) حال دون بلوغهم الصراط المستقيم فعاشوا في الأرض فساداً وقتلوا نفوساً بريئة، وأثاروا البلبلة في البلاد مما اضطر علياً (ع) إلى قتالهم، ولكن بعد محاولات عديدة أيضاً لجمع الصف، ودعوات مستمرة لإقرار السلم وإلقاء السيف[2].

وفي وصايا الإمام (ع) لجيوشه وجباة المال والولاة مؤشرات أخرى على التزام علي (ع) لمنهاج اللابغي واللاعدوان على أحد كائناً من كان ما ذكرنا منه طرفا في الصفحات الماضية في هذا البحث.

- وما أُعظم علياً أمير المؤمنين (ع) وهو ينص في عهده لمالك الأشتر على وجوب التزام الرفق بالناس، وعدم التعامل بأي لون من ألوان البغي والتعالي على الناس، وغمط حقوقهم المفروضة في شرع الله العظيم «.. وأشعر قلبك الرحمة للرعية، واللطف بهم، ولا تكونن عليهم سبعاً ضارياً تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان: أما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق.. فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه.

أنصف الله، وأنصف الناس من نفسك، ومن خاصة أهلك،

---

(١) بحار الأنوار ج ٤١ ص ١٤٥ وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١ ص ٢٣.
(٢) راجع القسم الثاني من هذا الكتاب.

ومن لك هوى فيه من رعيتك، فإنك إن لا تفعل تظلم، ومن ظلم عباد الله كان خصمه دون عباده، ومن خاصمه الله دحض حجته، وكـان الله حرباً حتى ينزع، ويتوب»[1].

ولـم يكن منهـاج علي (ع) هذا خـاصاً بـأهـل مصـر، وإنمـا هـو منهاجه الشامل لكل البلاد التي رفرفت راية دولته الكريمة عليا.

ـ ولقـد كان الإمـام (ع) يعهد إلى ولاتـه في الأمصار مثـل الذي عهـده إلى مالـك (رض) في وجوب إشـاعة العـدل، والرفق بـالنـاس، وعدم البغي عليهم بحال من الأحـوال أو معاملتهم بـأي لون من ألـوان الظلم . .

ولقد طرحنا بعضاً من وصاياه للولاة فيما مضى من حديث.

خامسا ـ شواهد من صبر الامام:

وقـوة الإرادة والروح العـالية في مـواجهـة مصـاعب الحيـاة ركن أساسي في شخصية علي (ع) وقد لا نغالي إذا اعتبرناهـا قاعـدة للكثير من مواقف الإمام (ع) في حياته العملية، مما ذكرناه أو مما لم نذكـره، فشـدة تعلقه بـالله وكثرة عبـادته، وتـورعه عن البغي وزهـده في الحياة الدنيا، وصفحـه عمن يسيء إليه وغيـرها مؤشـرات ضخمة على تسلح الإمام (ع) بصبر لا يعرف الهزيمة ولا النكوص عن القصد بشكل جعل الإمام (ع) وكأنه الصبر صار إنساناً.

ومع أن تلك المواقف والممارسات تمنح الدليل تلو الدليـل على حجم الصبر الذي يتمتع به الإمام (ع) فإنـه من المناسب أن نـذكر إلى جانب ذلك مواقف وأحداث جرت في حياة علي (ع) وقـد آثر الصبـر،

---

(١) عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر حين ولاه مصر نهج البلاغة رقم ٥٣ ص ٤٢٦.

ورباطة الجأش التي امتاز بها الإمام (ع) في طرحها في دنيا الواقع . .

ـ فحين أجمعت قريش في دار الندوة على قتل المصطفى (ص) من خلال عملية جماعية يتولاها من كل قبيلة شاب قوي ليذهب دم الرسول (ص) هدراً بزعمهم دون أن تستطيع بنو هاشم ـ عشيرة النبي ـ أن تطالب بدمه . .

حين أجمع رؤوس الشرك على تدبير ذلك الجرم، أنبأ الله تعالى رسوله (ص) بأمرهم :

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَروا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمكُرونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الماكِرين﴾ .

(الأنفال / ٣٠)

وأمره تعالى بوجوب الهجرة إلى دار الإسلام «يثرب» فخرج (ص) مهاجراً بعد أن ترك علياً (ع) في فراشه ملتحفاً ببردته فقضى الإمام (ع) ليلته في فراش رسول الله (ص) دون أن يكترث بما حوله من مكر مبيت. فلقد كان محتملاً أن ينقض أولئك الأوغاد على الإمام (ع) بسيوفهم دون رحمة، مدفوعين بالحقد الجاهلي الأسود البليد، دونما أقل اكتراث، ظناً منهم أنه الرسول (ص)، والإمام (ع) كان يتوقع ذلك منهم، ولكن إرادة علي ورباطة جأشه المعروفة المستمدة من الثقة المطلقة بالله والإيمان الكامل بقدره وقضائه تعالى وقوة صبر الإمام (ع) على مواجهة المصاعب والأحداث قد حملته على أن يسخر بما يبيتون، حتى إذا طلع هجم القوم على حجرة الرسول (ص) وعلي (ع) فيها وهم يظنون أنه رسول الله (ص) . . فواجههم الإمام (ع) بصلابة إرادته المعهودة:

ما شأنكم؟ قالوا:

أين محمد؟ قال:

أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا، فقد خرج عنكم!!

هكذا يخاطب الإمام (ع) المتآمرين بمنتهى الصبر والأباء والصرامة ساخراً بأولئك الأوباش.

إنه موقف شجاع تتصاغر أمامه إرادة الأبطال من الرجال!

وبتلك الإرادة بقي الإمام (ع) في مكة بعد هجرة رسول الله (ص) يواجه مسؤولياته في تنفيذ وصايا الرسول (ص) وأداء كافة المهمات المناطة به.

ـ وفي يوم هجرته خرج الإمام (ع) جهاراً يقود قافلة المهاجرات من أهل البيت: فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد وسواهما، فجرت محاولة من المشركين للحيلولة دون هجرته، ولكن إرادة علي (ع) وقوة تحمله للعقبات أفشلت المحاولة، فلم يعبأ بالفرسان الثمانية الذين أرسلوا لاعتراض سبيله، فواجههم بسيفه، وأهوى به على قائدهم بضربة قاضية، تحول الرجل بعدها إلى جثة هامدة يفور بدمه في تلك الفلاة من الأرض، ففر الباقون مخلفين قائدهم في الميدان[1]..

ـ وفي دار الهجرة واجه الإمام (ع) مسؤولياته العظيمة كجندي من جنود الرسالة في الرعيل الأول، فأبدى (ع) من قوة الإرادة ومضاء العزيمة والقدرة على مواجهة المصاعب ما يعد مفخرة يعتز بها إنسان الإسلام بامتداد وجوده التاريخي، فالإمام (ع) عبر المسارات الهجومية

(١) الإمام علي رجل الإسلام المخلد ـ عبد المجيد لطفي ص ٥٣ راعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ١٥٦ ـ ص ١٥٧.

والدفاعية ـ التي خاضها رسول الله (ص) من أجل نشر الرسالة الإلهية أو حماية وجودها العملي في حياة الناس ـ كان قطب رحاها الخائض المقدام لغمراتها الذي لا تأخذه في الله لومة لائم من أجل إخماد طغيان الشرك والمشركين وكافة أعداء الرسالة المتربصين، فما من حرب تسعر وما من معركة تدور رحاها إلا دعي علي (ع) لإخماد فتنتها وتنكيس رايات الجاهلية فيها: في بدر، وأحد والأحزاب، وحنين، وخيبر.. و..

وفي كثير من المواقف يسود الهلع في معسكر المسلمين، ويستبد الوهن والنكوص عن مواجهة العدو، فيعيد سيف علي (ع) الثقة للنفوس ويجدد في معسكر الإيمان روح القدرة على المواجهة وصد العدوان..

الأمر الذي يكشف عما يتمتع به الإمام (ع) من نفس كبيرة تعلو على كل وهن، وتسخر بكل ضعف، وترتفع فوق كل ذلة وهوان.. إنها قوة الإرادة... ومضاء العزيمة وشدة الصبر على المكارة مقرونة باليقين العميق بالله تعالى، والإستمداد منه والتوكل عليه دون سواه.

وقد تولى الإمام (ع) الخلافة في ظروف صعبة دقيقة على مضض، وبعد محاولات عديدة من الرفض لها من قبله[1]، وما أن عقدت له البيعة حتى نكث قوم وقسط آخرون، ومرق غيرهم، كل ذلك من أجل أن يحال بين الإمام (ع) وبين استئناف المسيرة الإسلامية التي بدأها رسول الله (ص).

ولقد تحمل أمير المؤمنين (ع) ما تحمل من الآلام والمشقات في سبيل إخماد الفتن السوداء التي أثارها أصحاب المنافع الشخصية

---

(١) يراجع القسم الثاني من هذا الكتاب.

وأصحـــاب المصلحـة من سيــاسـة الإنحــراف، في طـريق مسيــرتـه الإصــلاحية، فقـابل كـل ذلك بـالصبر الجميـل، وبالتسليم لقضـاء الله تعالى، حتى رحل إلى ربه الأعلى شهيداً مثقلاً بالمتاعب والآلام.

ـ وإذا تركنا تلك الأمور جانباً وألقينا نظرة على جوانب أخرى من حياة الإمام (ع) لنحدد مواقع الصبر والإرادة الصلبة لما صح أن تفوتنـا مـواقف الصبر التي وقفهـا أمير المؤمنين (ع) حين يفـارق أحبته ورفـاق الدرب، وأولهم رسول الله (ص) الذي فاضت نفسـه الشريفـة في حجر الإمام (ع)[1]. وواراه الثرى بنفسه، وعاش مأساة فراقه بكـل أبعادهـا، وهـا هـو يخـاطب رسـول الله (ص) وهـو يلي غسله وتجهيـزه بكلمـات حزينة تدمي القلب وتزرع الأسى: «بأبي أنت وأمي يا رسـول الله! لقد انقـطع بموتـك ما لم ينقـطع بمـوت غيـرك من النبـوة والأنبـاء وأخبـار السماء. خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك؟ وعممت حتى صـار الناس فيك سواء. ولولا أنـك أمرت بـالصبر، ونهيت عن الجـزع، ولا نفدنا عليك ماء الشؤون، ولكان الداء مماطلاً، والكمـد محالفـاً، وقلّا بك، ولكنه ما لا يملك رده، ولا يستطاع دفعه! بأبي أنت وأمي. أذكرنا عند ربك، واجعلنا من بالك»[2].

وإذا أعـدنا إلى الأذهـان ما يحـظى به رسـول الله (ص) من حب

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ج ٢ ص ٣٠٠ ومناقب الخوارزمي عن عائشة.

(٢) نهج البلاغة من كلام له (ع) رقم ٢٣٥.

أنفذنا: أفنينا.

ماء الشؤون: منابع الدمع.

الداء مماطلاً: مماطلاً بالشفاء.

المد محالفاً: الحزن ملازماً.

قلا: محالفة الحزن ومماطلة الشفاء قليلان لك.

وتعـظيم في نفس أمير المؤمنين (ع) لأدركنـا حجم الأسى الـذي صب على الإمام (ع) بفقده (ص)، فعلي (ع) قد حظي بتربية الـرسول (ص) ورعايته وأعداده ومصاحبته منذ الصِبا حتى فارق رسول الله الدنيا.

ولقد كانت تلك التربية وتلك الأخـوة بينهما مليئـة بضروب الـود والحنان والوفاء والإخلاص مما ليس له نظير[1].

على أن الإمام (ع) التزم جانب الصبر راضياً بقضاء الله المحتوم في رسول الله (ص).

ـ وفي خضم الأحداث المريرة التي عاشها أمير المؤمنين (ع) في هذه الفترة، ألمت بالزهراء سيدة نساء العالمين العلة التي تـوفيت على أثرها فلحقت بـالراحـل العظيم أبيهـا حيث كان الإمـام (ع) طوال فتـرة المرض الذي عانت منه فاطمة (ع) يعيش ما تعاني بمـلء كيانـه، فهي وديعـة رسـول الله (ص) ومـدرسـة الإمـامـة التي خـرجت قـادة الأمـة الهداة (ع) وهي الصابـرة المحتسبة وهي بعـد ذلك زوجـة الوفيـة التي عاشت معه آماله والآمة طوال حياتها معها..

لقد رأى الإمام (ع) زهراء الإسلام، بعـد رسول الله (ص): وهي تعيش مـرارة الأسى ثم وهي تستسلم لفراش المـرض فيشحب لونهـا، وتتردى أوضاعها الصحية يوماً بعد يوم، ثم يـراها وهي تفـارق الدنيـا، فيبـاشر تغسيلهـا وتجهيزهـا ودفنها عليهـا السلام، ثم يقف على شفيـر قبـرها مـودعها بعبـارات تذيب القلوب الحـديـديـة «السـلام عليـك يـا رسول الله عني، وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك! قـلّ يا رسـول الله عن صفيتك صبـري، ورق عنها تجلدي، إلا أن في التأسي لي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك، موضع تعز، فلقد وسـدتك

(١) راجع القسم الأول من هذا الكتاب.

في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك «فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة! إما حزني فسرمد وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها فأحفها السؤال، واستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهد، ولم يخل منك الذكر، والسلام عليكما سلام مودع، ولا قال، ولا سئم، فإن انصرف، فلا عن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين[1].

فالنتيجة أن الإمام (ع) استسلم لقضاء الله تعالى واستعان على الأسى بجميل الصبر.

وكما صبر الإمام (ع) لفقد رسول الله (ص) والصديقة الزهراء (ع)، تجمل بالصبر كذلك لفقد أخوة له في الله، انقطعوا إليه في الوفاء وبذلوا أرواحهم وكل ما يملكون في سبيل رسالة الله تعالى، وقد تصدوا لهدم الباطل، وواجهوا الإنحراف، فاستشهدوا في ساحات الجهاد كعمار بن ياسر ومالك بن التيهان، وذي الشهادتين خزيمة بن ثابت الإنصاري ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر وسواهم.

وها هو الإمام (ع) يذكرهم قبل اغتياله بأيام في خطبة له جاء فيها (.. أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار، وأين ابن التيهان، وأين ذو الشهادتين وأين نظراؤهم من

---

(١) نهج البلاغة رقم النص ٢٠١.
التأسي: الإعتبار. هضم: ظلم.
الفادح: المثقل. إحفاء السؤال: الإستقصاء فيه.
التعزي: التصبر. القالي: المبغض.
ملحودة القبر: الجهة المشقوقة. السئم: الضجر.
مسهد: اشتد منه الأرق.

إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة.

«ثم أطال البكاء» وقال:

أوه على إخواني الذين تلو القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيو السنة، وأماتوا البدعة، دعوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه..»[1].

ومن شواهد صبر الإمام (ع) كذلك رفضه للدنيا ولذاتها وتحمله لأذى الجوع، والتقشف وزهده بالمال حتى يبلغ به الحال أحياناً أن يشد حجر المجاعة[2]، على بطنه، ولقد رأيت في حديثنا عن زهده وعدالته[3] ما يغنيك عن تعداد شواهد أخرى من قوة تحمله وإرادته في مواجهة المشقات وعقبات الحياة.

وهكذا عاش الإمام (ع) حياة مليئة بالكدح والآلام، زاهرة بالرزايا، حافلة بالمحن، غير أنه واجهها جميعاً بقوة صبره، وعظيم إرادته التي لا تقهر.

---

(١) نهج البلاغة أواخر خطبة رقم ١٨٢.
أبرد برؤوسهم: أرسلت رؤوسهم بالبريد إلى الطغاة للتشفي منهم. أوه: كلمة توجع.

(٢) شرح النهج ج.١ ص ٢٢.

(٣) في القسم الثاني والثالث من هذا الكتاب.

في حقل المعرفة

* صور من فكر الامام
* مصنفات الامام
* طرف في مواعظ الامام
* قبس من حكم الامام

إن محاولة الحديث عن دنيا المعرفة عند علي (ع) مهما أعطيت من التوفيق يستحيل عليها أن تحدد الفكر العلوي العظيم، وتحيط بأبعاد المعرفة التي طرحها الإمام (ع) في ساحة الفكر الإنساني، وحسبك أن كل مدرسة فكرية ظهرت في دنيا المسلمين، كل منها تدعي انتماءها فكرياً للإمام (ع) حتى وإن كانت مخالفة للواقع والحق، وكأن قولها بالإستمداد من علي (ع) يعطيها صفة الشرعية وحق الحياة، فالأشاعرة نسبوا أنفسهم له، والمعتزلة أدعوا الإنتماء إليه، وزعمت مدرسة الرأي في الفقه انتماءها إليه، وذهب المتصوفة إلى أن أمامهم أمير المؤمنين فيما ذهبوا، وسوى هؤلاء كثير[1].

هذا فضلاً عن حملة مبادئه من الذين التزموا مذهب أهل البيت (ع) الثقل الثاني بعد القرآن الكريم الذي ألزمت الشريعة بالتمسك بهما وسلوك دربهما على لسان رسول الله (ص) «إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[2].

فادعاء جميع المدارس الفكرية والفقهية انتماءها للإمام (ع) وانتهالها من بحر علمه مؤشر كبير على عظمة الإمام (ع) وعلو شأنه في دنيا الفكر الإسلامي. الأمر الذي لم يكن لأحد من المسلمين بعد رسول الله (ص) طوال التاريخ الإسلامي.

فعلي (ع) قد تنازعته كل الحركات الفكرية والفقهية التي ولدت

---

(١) شرح نهج البلاغة ج ١ ص ١٧ وما بعدها ط ١، ١٩٥٩ ط دار إحياء الكتب العربية.

(٢) روى هذا الحديث باختلاف يسير في اللفظ: مسلم في الصحيح، والحاكم في مستدرك الصحيحين وأحمد بن حنبل في: مسند، والمتقي في كنز العمال، وغيرهم.

في تاريخ المسلمين، بل قال بالإنتساب إليه أصحاب النشاطات الفكرية والثقافية والعلمية من نحويين وأهل القراءات وعلماء التفسير وأهل الحديث والفقه وسواهم على أن الإنتساب لعلي (ع) في الحقل المعرفي أو ادعاء الإنتساب إليه لم يأت عفواً أبداً، وإنما هو شاهد قوي على أن علياً (ع) لم يترك حقلاً من حقول المعرفة الصحيحة إلا ووضع أسسه وحدد معالمه وترك الباب مفتوحاً لرواد المعرفة أن ينتهلوا منه.

ولم يكن العطاء الفكري العظيم الذي أسداه الإمام (ع) للإنسان إلا حصيلة طبيعية للأعداد الخاص الذي توفر للإمام (ع) من لدن رسول الله (ص) منذ طفولة الإمام (ع) حتى آخر ساعة من حياة الرسول (ص). الأمر الذي تسالم المؤرخون على حقيقة وقوعه.

ولقد أشار الإمام (ع) ذاته إلى ذلك الأعداد الذي وفره له رسول الله (ص) وكشف عن أهميته وأبعاده في حياة الإمام (ع) بقوله «.. وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره، وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكنفني في فراشه: ويمسني جسده، ويشمني عرفه، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل.. ولقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالإقتداء به، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء، فأراه، ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة، وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة، وأشم ريح النبوة»[1].

---

(١) نهج البلاغة الخطبة القاصعة. رقم ١٩٢.

ولاستمرارية ذلك الأعداد الخاص لعلي (ع) يشير أبو سعيد الخدري (رض) بقوله «كانت لعلي من رسول الله (ص) دخلة لم تكن لأحد من الناس»[1].

وعن ابن عباس «رض» عن علي (ع) قال:

«كان لي من النبي (ص) مدخلان: مدخل بالليل ومدخل بالنهار»[2].

ولقد كان ذلك الأعداد الرسولي منصباً على جميع جوانب شخصية الإمام (ع) من أجل تأهيله فكرياً ونفسياً لاحتلال موقع المرجعية الفكرية والسياسية للأمة الإسلامية بعد غياب رسول الله (ص) عن مسرح الحياة..

وحيث أن حديثنا هذا يهدف إلى دراسة العطاء الفكري الثر الذي طرحه الإمام (ع) في الساحة الإنسانية فلا بد منأن نشير إلى أن رسول الله (ص) حين أكمل بناء الجانب الفكري من شخصية الإمام (ع) وأهله لخلافته في هذا المضمار، أخذ (ص) يبلغ الأمة بحقيقة ما وصل إليه الإمام (ع) من مستوى عظيم في ميدان المعرفة:

قال (ص):

- «إنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه»[3].

---

(١) أنساب الأشراف ج ٢ ص ٩٨ - البلاذري.

(٢) خصائص الإمام علي بن أبي طالب للنسائي ص ٤٩.

(٣) أخرجه الترمذي في صحيحه وأحمد بن حنبل والحاكم في المستدرك والحافظ أبو محمد السمرقندي في بحر الأسانيدو ابن جير في تهذيب الآثار والأربلي في كشف الغمة نقلاً عن فتح الملك العلي بصحة حديث باب مدينة العلم علي للحافظ أحمد بن محمد الصديق الغماري ط ٢، ١٩٩٦.

ـ «علي باب علمي ومبين لأمتي ما أرسلت به»[1].

وعن ابن مسعود قال: كنت عند النبي (ص) فسئل عن علم علي (ع)؟

فقال:

ـ «قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً، وهو أعلم بالعشر الباقي»[2].

وهناك أحاديث شريفة بهذا الشأن لا تكاد تحصى كثرة، وهي تهدف جميعاً إلى بيان المكانة التي يحتلها الإمام (ع) في الجانب المعرفية، وتدعو الأمة صراحة إلى وجوب أخذ معارف التشريع الإلهي عن طريقه[3]، فمنه تستمد الهدى، وهو الصراط المستقيم الموصل إلى الله تعالى بعد رسول الله (ص).

ولقد أدرك الكثير من معاصري الإمام (ع) ما يحظى به الإمام (ع) من علو شاهق في مجالات المعرفة بشتى حقولها وجوانبها، وما يتبوؤه من مقام رفيع في ركب الإسلام الخالد:

فها هو ابن عباس (رض) يقول:

ـ أعطي علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأنه لأعلمهم بالعشر الباقي[4].

---

(١) أبو نعيم في حلية الأولياء والديلمي في فردوس الأخبار وغيرهما نقلاً عن مقام أمير المؤمنين ط الأعلمي ص ٧.

(٢) أخرجه الخوارزمي وابن المغازلي الشافعي والمناقب ج ٢ ص ٣٠.

(٣) راجع مناقب آل أبي طالب ج ١ فصل في المسابقة بالعلم، والبحار ج ٤١ باب ٩٣ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة وغيرها.

(٤) بحار الأنوار ج ٤٠ باب ٩٣ عن النقاش في تفسيره، ومناقب آل أبي طالب ج ١ فصل المسابقة في العلم.

وعطاء بن أبي رباح يقول ـ حين سئل هل تعلم أحداً بعد رسول الله (ص) أعلم من علي . .

ـ لا والله ما أعلمه .

وعمر بن الخطاب يقول :

ـ العلم ستة أسداس ، لعلي من ذلك خمسة أسداس وللناس سدس ، ولقد شاركنا في السدس حتى لهو أعلم به منا[1] .

ولكم كان الخلفاء الذين سبقوه تاريخياً يرجعون إليه في مسائل القضاء والحكم والإدارة ، حتى أن عمر ابن الخطاب كان يردد «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن» أو يقول «أعوذ بالله من معضلة لا علي لها»[2] .

وعائشة تقول :

ـ علي أعلم الناس بالسنة [3] .

وغير هؤلاء كثير . .

على أن أمير المؤمنين (ع) قد أفصح مراراً وفي مناسبات شتى عما يحمل من علم شامل غزير .

فتراه يخاطب أصحابه بأن صدره يحمل علماً عظيماً تلقاه من رسول الله (ص) ولو وجد له حملة أمناء يتصدون لحمله وتبليغه لأودع بعض علمه لديهم :

ـ «إن في صدري هذا لعلماً جما ، علمنيه رسول الله (ص) ولو

---

(١) و (٢) راجع فصل في عهد الخلفاء في الحلقة الأولى من دراستنا عن أمير المؤمنين (ع) .

(٣) البحار ج ٤٠ باب ٩٣ عن كشف الغمة .

أجد له حفظة يرعونه حق ورعايته ويروونه عني كما يسمعونه مني، إذا لأودعتهم بعضه..»[1].

ثم يكشف في مناسبة أخرى عن حجم ذلك العلم الذي يحمل ويبين أبعاده ومساحته:

فعن ابن نباتة قال:

ـ لما بويع أمير المؤمنين (ع) بالخلافة خرج إلى المسجد معتماً بعمامة رسول الله (ص) لابساً بردته فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ، وأنذر، ثم جلس متمكناً، وشبك بين أصابعه، ووضعها أسفل سرته ثم قال:

ـ يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فأن عندي علم الأولين والآخرين، أما والله لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتى ينهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول: يا رب إن علياً قضى بقضائك، والله إني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدع علمه،.. ثم قال... سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن آية آية لأخبرتكم بوقت نزولها، وفيم نزلت، وأنبأنكم بناسخها ومنسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها والله ما من فئة تضل أو تهدي إلا وأنا أعرف قائدها وسائقها وناعقها[2].

«سلوني فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم في

---

(١) المرجع السابق باب ٩٣ نقلاً عن الخصال.

(٢) البحار ج ٤٠ باب ٩٣ ويشبهه في الإرشاد للشيخ المفيد ص ١٩١.

سهل أم في جبل»[1].

ولو قدر أن علياً (ع) لم يتسن لـه أن يساهم بمـا سـاهم بـه من علم جم ـ الأمر الذي سنتناول خطوطـه العريضـة في هذا الفصـل ـ في المجالات الفكرية فإن نداءاته الملحة في مناسبة وأخرى: سلوني قبـل أن تفقـدوني: آية جليـة على قدراتـه الفائقـة في حقول المعـرفة بشتى ضروبها وامتدادتها.

ولو قدر كـذلك أن الـرسول (ص) لم يكشف عمـا لعلي (ع) من سابقة في العلم وعلو شاهق في المعرفـة، لكان إصـرار علي (ع) على دعـوة الناس بتلقي العلوم منـه شاهـداً قويـاً لا يرد على مـا له (ع) من علم غزير، فـإن ثقته العـالية بنفسـه في مضمار العلم هي التي تـدفعه لتكرار ذلك النداء الفريد، الذي ما حدثنـا التاريـخ أن رجلاً قـدم عليه قبل علي (ع) خوف الفضيحة والنكوص عن الإجابة!

ولقد تنبه الكثيـر من أصحاب العقـول إلى ما ينـطوي عليه ذلـك النداء العلوي: سلوني، من أهمية بالغة، فقد قال سعيد ابن المسيب:

ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير علي بن أبي طالب»[2].

وعن ابن شبـرمة يقـول: «ليس لأحـد من النـاس أن يقـول على المنبر سلوني إلا علي بن أبي طالب»[3].

فالنداء المذكور بكثرة إلحاحه وحرارته يحمل بين ثنـاياه مـا حواه الإمـام (ع) من علم شمولي يمد الإنسان بالغنى والخير والهدى والسداد.

---

(١) أعيان الشيعة ج ٣ ق ١ ص ٦٣ عن الإستيعـاب ومثلها في الإصـابة والإتقـان وحلية الأولياء وفي صحيح مسلم ج ٦.

(٢) نفس المصدر عن غرر الحكم للآمدي.

(٣) نفس المصدر عن نهج البلاغة.

من أبعاد المعرفة

بمقدورنا بعد إيراد التوطئة المتعلقة بالحقل المعرفي عند أمير المؤمنين أن نقول أن تصوراً قد تكامل لدينا حول عمق المعرفة وشمولها عند الإمام (ع) فهو وريث رسول الله (ص) والمبين للأمة ما بعث به، ومرجعها في كل تساؤلاتها الفكرية الملحة كل ذلك حصيلة لإعداد مسبق من لدن رسول الله (ص) أشرنا لبعض مصاديقه فيما مضى من حديث.

بقي أن نشير في هذا الفصل إلى أبعاد المعرفة التي أسداها الإمام (ع) للإنسان: المسلم منه وغير المسلم.

ففكر علي (ع) وإن كان رسالياً هادفاً إلى خدمة الرسالة الإلهية وحملتها وعاملاً على دفع عجلة مسيرة الإسلام التاريخية إلى الإمام، فإنه يبقى منهلاً عذباً لتصيب منه الإنسانية بشتى نحلها واتجاهاتها الفكرية، وهو كفيل بهدايتها إلى الحق وإلى صراط مستقيم.

وقبل أن نطرح الخطوط العامة للجانب المعرفي عند الإمام (ع) جدير بنا أن نشير إلى أنه (ع) بالرغم مما طرحه في دنيا الفكر الإنساني من أبواب المعرفة المتعددة .فإننا نظل عند قناعتنا من أن

الإمام (ع) لم تسعفه الظروف الإجتماعية والسياسية على حد سـواء أن يسدي للإنسان بالكثير مما عنده من معرفة.

فإذا أهملنا أثر الظروف السياسية التي ألمت بـالإمام (ع) ومنعتـه من أداء مهمـاتـه على الشكـل المـرجـو من أجـل مصلحـة الـرسـالـة والإنسان، ـ فإن الظروف الإجتماعية لا تقل خـطراً عن تلك الظروف، فالمجتمع الذي عايشه الإمام (ع) لم يكن في مستواه من ناحيـة الوعي قـادراً على إدراك الإمـام وأهميتـه ودوره الـرسـالي الخـطيـر في حيـاة النـاس، ولعل أبلغ شـاهد على ذلـك ما كـان يواجهـه الإمـام (ع) من تساؤلات فجة واعتراضات تافهة حين يدعو قومه للإفادة ممـا يحمل من علم جم تلقاه من رسول الله (ص).

ونـذكـر بهـذا الصـدد بعض تلك المـواقف التي تقـطر سخفـاً وبلادة: ـ فقد خاطب الناس مرة بقولـه: سلوني قبل أن تفقـدوني فوالله لا تسـألوني عن فئـة تضل مـائة أو تهـدي مـائـة إلا نبـأتكم بنـاعقهـا، وسائقها، ولو شئت لأخبرت كل واحد منكم بمخـرجه ومـدخله وجميع شأنه:

فقام إليه سنان بن أنس النخعي قائلاً:

أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر[1]!!

ـ وبينمـا كان الإمـام (ع) يومـاً يحدث قـومـه عن بعض حـوادث المستقبـل كبر على أعشى بـأهله ـ عامـر بن الحـارث ـ مـا تحـدث بـه الإمام (ع) فقال له:

---

(١) شـرح النهـج ج ٢ ص ٢٨٦ ـ ونفس الـروايـة في البحـار / ٤٠ بـاب ٩٣ ص ١٩٢ ولكنه يروي أن الرجل كان تميم بن أسامة التميمي.

يا أمير المؤمنين ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة[1].

هذه بعض المواقف التي اتخذها البعض من الناس الذين عاصروا الإمام (ع) فأضاعوا أثمن فرصة مرت بالأمة بعد رسول الله (ص).

وبالرغم من ذلك كله فإننا ينبغي ألا نغفل ما كان ينطوي المجتمع عليه من طلاب المعرفة من أجل الوصول إلى الهدى والخير.

وكانت تلك الفئة واعية لحقيقة الإمام (ع) مؤمنة بقدرته الفائقة على طرح شتى أنواع الفكر الإسلامي في العقائد والتشريع وفي مختلف أبواب المعرفة الضرورية لمسيرة الإنسانية.

وقد قابل أمير المؤمنين (ع) أولي الألباب بنفس الثقة التي أولوهاله، فخصهم بالكثير من ألوان الأعداد والتوجيه والتثقيف ليواصل المسيرة التي بدأها رسول الله (ص) والتي خط الإمامة عبر التاريخ الإسلامي ابتداء بعلي (ع) وانتهاء بأبي القاسم الإمام المهدي (ع).

وقد بلغ بالإمام (ع) أن يكشف الكثير من أسرار المعرفة لأولئك المتقين الأفذاذ من الرجال[2].

وقد تعاهد الإمام (ع) أمر أعداد الحملة الحقيقيين للرسالة الإلهية من بدأ الرسول (ص) عملية أعدادهم أو غيرهم..

على أن الذي توفر للإمام (ع) طرحه من أراء ومباديء وحكم ومفاهيم في ساحة الفكر الإنساني كفيل بعضه دون جميعه لإبراز عظمة الإمام (ع) وقدراته العلمية الفائقة.

وها نحن أولاً، نطرح صوراً من المعرفة عند الإمام (ع):

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٩.

(٢) شرج نهج البلاغة ج ٢ ص ٢٨٦ وما بعدها.



صور من الفكر العقائدي

للإمام (ع) باع طويل في طرح الصيغ المحددة للعقائد الإسلامية من خلال ما طرحه من خطب ورسائل ومواعظ ومناقشات.

والباحث فيما خلفه الإمام العظيم (ع) من ثروة فكرية يتجلى له بعمق أن أمير المؤمنين (ع) قد أعطى للعقيدة الإسلامية ركائزها الأساسية على وجه الخصوص الكثير من الإهتمام والعناية، وأغلق الباب بوجه أي شذوذ وانحراف وعدول عن مضامينها الحقيقية بأسلوب واضح وجلي لا يمكن صرفه أو تأويله لأي معنى آخر غير ما أراده الإمام (ع). فالله تعالى وأسماؤه الحسنى وصفاته ذاته وصفات أفعاله، والرسالة والنبوة والوحي، والملائكة والإمامة والقضاء والقدر، والبعث والنشور وفلسفة الدنيا والجنة والحساب وسواها من أسس العقيدة الإسلامية قد طرحها الإمام (ع) في صيغ محددة نابضة بقوة الحجة والبرهان والوضوح.

ولو قدر للأمة المسلمة بجميع فرقها أن تنهل من المنهل العذب الرقراق الذي فجره علي (ع) في دنيا الفكر الإسلامي، لاجتمعت الكلمة وتوحد الصف والهدف، وما شهدت دنيا المسلمين أي لون من

ألوان الشطحات والإنحرافات المضلة التي جنح إليها رهط من أتباع المدارس الفكرية عند المسلمين.

وبقدر ما تسمح به محاولتنا لدراسة الخطوط العامة لما خلفه لنا الإمام أمير المؤمنين (ع) من ثروة فكرية سنعرض نماذج من الفكر العقائدي الذي زين الإمام (ع) بها صفحات الفكر الإنساني بشكل عام:

وحدانية الله عز وجل:

«الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعماءه العادون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لا يدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته، ووتد بالصخور ميدان أرضه[1].

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الإخلاص له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه، فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده، ومن قال «فيم» فقد ضمنه، ومن قال «علام؟» فقد أخلى منه.

كائن لا عن حدث، موجود لا عن عدم.

---

(١) فطر الخلائق: ابتدعها على غير مثال سابق.

(٢) وتد: شبت.

(٣) الميدان: التحرك بالتمايل.

مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنى الحركات والآلة، بصير إذ لا منظور إليه من خلقه متوحد إذ لا سكن يستأنس به، ولا يستوحش لفقده، أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطراب فيها، أحال الأشياء لأوقاتها، ولأم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، وألزمها أشباحها، عالماً بها قبل ابتدائها، محيطاً بحدودها وانتهائها، عارفاً بقرائنها وأحنائها...»[1].

«الأول لا شيء قبله، والآخر لا غاية له، ولا تقع الأوهام له على صفة، ولا تقعد القلوب منه على كيفية، ولا تناله التجزئة والتبعيض، ولا تحيط به الأبصار والقلوب..»[2].

«لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركاً، ولم يلد فيكون موروثاً هالكاً، ولم يتقدمه وقت ولا زمان، ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان، بل

---

(١) نهج البلاغة رقم الخطبة ١.
لاعن حدث: لاعن إيجاد موجد.
المزايلة: المفارقة والإختلاف.
الروية: التفكير.
أجال: ردد أو أدار.
همامة: اهتمام الأمر وانشغال بال.
لأم: قرن.
غرز الغرائز: أودع فيها الطباع.
قرائن: جمع قرونة وهي النفس.
الإحناء: الجوانب.
لا تقعد القلوب منه على كيفية: أي ليست له كيفية فتحكم بها.
(١) نفس المصدر رقم ٨٥.

ظهر للعقول بما أرانا من علامات التدبير المتقن، والقضاء المبرم»[1].

«الحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو أنس، لا يدرك بوهم، ولا يقدر بفهم، ولا يشغله سائل، ولا ينقصه نائل، ولا ينظر بعين، ولا يحد بأين، ولا يوصف بالأزواج ولا يخلق بعلاج، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس»[2].

هكذا حدد أمير المؤمنين (ع) مفهوم وحدانية الله سبحانه وتعالى، وهكذا عرف علي (ع) الله رب العالمين، ووصفه كما أراد الله تعالى أن يوصف به، فقد نزهه عن التشبيه والتجسيم والمكان والتجزئة والتبعيض وكل نقص، وأخرجه بوصفه عن كل صفة من صفات مخلوقاته، كما شاء الله تعالى أن يوصف، وكما علّم أولياءه أن ينعتوه.

الرسالة والنبوة:

وكما حدد الإمام أبعاد التوحيد وحقيقته، أعطى (ع) التحديد الموضوعي الشامل للنبوة والرسالة مبيناً فلسفتها وأهدافها، وموضحاً أن اللطف الإلهي بالعباد اقتضى إرسال الأنبياء (ع) إلى الناس ليأخذوا بأيديهم إلى حيث الهدى والرشاد وسبيل الحق، بعد أن تنكروا لعهد الله إليهم، وخرجوا عن مقتضى الفطرة التي فطرهم الله عليها قال (ع):

---

(٢) نهج البلاغة رقم ١٨٢.
يتعاوره: تطرأ عليه الزيادة والنقصان.

(٢) نفس المصدر والخطبة.
وهم: تفكير وتوهم.
النائل: العطاء.
أين: إشارة للمكان.

«واصطفى سبحانه من ولده ـ من ولد آدم ـ أنبياء أخذ على الوحي ميثاقهم، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم، لما بدل أكثر خلقه عهد الله إليهم، فجهلوا حقه، واتخذوا الإنداد معه، واجتالتهم الشياطين عن معرفته، واقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، وواتر إليهم أنبياءه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم مني نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ويروهم الآيات المقدرة: من سقف فوقهم مرفوع، ومهاد تحتهم موضوع، ومعايش تحييهم، وآجال تفنيهم، وأوصا تهرمهم، وأحداث تتابع عليهم، ولم يخل الله سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة[1] أو محجة قائمة. رسل لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم: من سابق سمي له من بعده، أو غابر عرفه من قبله: على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور: وسلفت الأباء وخلفت الأبناء.

إلى أن بعث الله سبحانه محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإنجاز عدته، وإتمام نبوته، مأخوذاً على النبيين، ميثاقه، مشهورة سماته، كريماً ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطرائق متشتتة، بين مشبه لله بخلقه، أو ملحد في إسمه، أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانة من الجهالة..»[2].

---

(١) الميثاق: العهد.
الإنداد: الأمثال وهم المعبودون من دون الله.
اجتالتهم: أبعدتهم عن هدفهم.
واتر: جعل بين كل نبي وآخر فترة.
ليستأدوهم: ليطلبوا الأداء منهم.
وصب: تعب.

(٢) نهج البلاغة رقم النص ١ «باب الخطب».

=

«بعث الله رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الأعذار إليهم، فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق. . »[1].

«فعبث الله محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بينه وأحكمه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، وليقروا به بعد إذ جحدوه وليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلى لهم سبحانه في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته، وخوفهم من سطوته وكيف محق من محق بالمثلات، واحتصد من احتصد بالنقمات. . »[2].

خط الامامة في دنيا الاسلام:

ويجلي الإمام (ع) حقيقة خط الإمامة وضرورته في دنيا المسلمين ويحدد مرامي الأئمة (ع) ويرشد الأمة المسلمة إليهم باعتبارهم الإمتداد الحقيقي للرسالة، والحملة الحقيقيين لرسالة الله تعالى وهديه للعالمين بعد رسوله (ص)، بهم يقام الحق وتحمى الشريعة ويصان الدين، وتحفظ كلمة الله تعالى. . وتبلغ الأمة الهدى والخير، وبسواهم يكون الضلال والإنحراف والضياع يقول (ع).

= نسلت القرون: تتابعت.
المحجة: الطريق الواضحة المستقيمة.
انجاز عدته: وعده الله تعالى بإرسال محمد (ص).
السمات: العلامات التي بشر بها النبيون السابقون لرسول الله محمد (ص).
ملحد في إسم الله: يخرج به عن حقيقة مسماه.

(١) نفس المصدر نص ١٤٤.
(٢) نفس المصدر رقم ١٤٧.
تجلى: ظهر بآيات لا برؤيته المباشرة.
المثلات: العقوبات.

- «.. لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الأمة أحد ولا يسوي بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً: هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة، الآن إذ رجع الحق إلى أهله، ونقل إلى منتقله»[1].

«إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاة في غيرهم»[2].

وبعد هذا التحديد الدقيق للإمامة وللأئمة، يحذر (ع) من مغبة نكران الأئمة والتنكر لهم «.. وإنما الأئمة قوام الله على خلقه وعرفاؤه على عباده، ولا يدخل الجنة إلا من عرفهم وعرفوه، ولا يدخل النار إلا من أنكرهم وأنكروه..»[3].

ويحذر من مغبة نكرانهم في مسيرة الحياة الإسلامية حيث يوضح بكل جلاء أن الحق لا يحصل بسواهم وأن الهدى لا وجود له إلا بمتابعتهم «فأين تذهبون، وأنى تؤفكون، والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم، وكيف تعمهون، وبينكم عترة نبيكم، وهم أزمة الحق، وأعلام الدين، وألسنة الصدق، فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن وردوهم ورود إليهم العطاش..»[4]

---

(١) خطبة رقم ٢ من نهج البلاغة.
الغالي: المغالي المبالغ الذي يتجاوز الحد في الإفراط.

(٢) نفس المصدر رقم ١٤٤.

(٣) نفس المصدر رقم ١٥٢.

(٤) نهج البلاغة رقم النص ٨٧.
تؤفكون: تصرفون عن الحق.
المنار: جمع منارة.

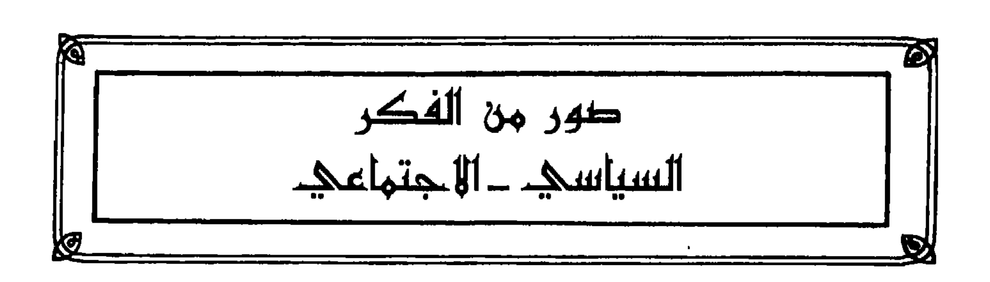
ثم يشير الإمام (ع) إلى أن خط الإمامة مصاحب لمسيرة الأمة، وأرض الله لا تخلو من حجة من آل محمد (ص) يحمل الهدى للناس:

«إلا أن مثل آل محمد صلى الله عليه وآله كمثل نجوم السماء: إذ خوى نجم طلع نجم، فكأنكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع وأراكم ما كنتم تأملون»[1].

ونكتفي بهذه النماذج من الفكر العقائدي الذي طرحه الإمام (ع) في ساحة الفكر الإسلامي، ومن شاء الإستزادة فدونه نهج البلاغة فإنه ينبوع لا ينضب يمد المتتبع بشتى ضروب المعرفة في مضمار العقيدة وسواها.

= يتاه بكم: الحيرة والضلال.
تعمهون: تتحيرون.
العترة: النسل.
ردوهم ورود إليهم العطاش: هلموا إلى بيحار علومهم مسرعين كإسراع الإبل العطش إلى الماء.

(1) نفس المصدر رقم ١٠٠.
خوى نجم: غاب.



صور من الفكر السياسي ـ الاجتماعي

بالرغم من قصر المدة التي قضاها أمير المؤمنين (ع) في قيادة الأمة إجتماعياً وسياسياً فإن الفكر السياسي الذي طرحه الإمام (ع) كفيل بتغطية حاجات الإنسان عبر امتداده التاريخي على هذه الأرض، فقد جاءت خطب الإمام (ع) ورسائله وأوامره وإرشاداته زاخرة بهذا اللون من الفكر، مجسداً أروع أطروحة وأنضجها لإدارة شؤون الحياة الإنسانية.

ففي الحقل الإقتصادي طرح الإمام (ع) نظاماً متكاملاً لعلاج المشكلة الإقتصادية، وظاهرة الإنحراف عن خط العدالة الإسلامية في التوزيع، وحدد برامج واضحة لتجاوز الأخطاء المتراكمة في مسألة توزيع المال بين الناس من خلال منهاج التسوية في العطاء.

ولم يلتمس الإمام (ع) المواقف الوعظية في علاج المشلكة الإقتصادية، وإقرار العدالة في المجتمع فحسب وإنما سلك إلى جانب مخاطبة الضمائر والإستفادة من رصيد الإيمان بالله فيها، سلك سبيل استخدام الضوابط القانونية في تحقيق التوازن والعيش الرغيد، وإنهاء دور الظلم في المجتمع ومن أجل ذلك استرد الأموال التي تدفقت

على جيوب فئة من الناس من غير حق، وسلك سبيل مراقبة طرق جباية الأموال، وكيفية توزيعها على قطاعات الأمة، كما شدد على مراقبة ولاته في الأمصار، واستحدث نظام المراقبة والتفتيش ليحيط علماً بتصرفاتهم وممارساتهم ومن هنا تجد الكثير من النصوص التي يوجه فيها الإمام (ع) والياً أو جابياً للمال باتجاه الطريقة المثلى في عمله المناط به، كما نجد نصوصاً يوبخ فيها الإمام (ع) ذلك الوالي أو يستدعيه للحساب أو يعزله عن منصبه لخيانة الأمانة التي أنيطت به[1].

وكما وضح الإمام (ع) مناهجه القويمة المجسدة لشرع الله تعالى في المال، كذلك فعل بالنسبة للإدارة وشؤون القيادة الأخرى في المجتمع، فبالرغم من كثرة النصوص التي حفظها لنا نهج البلاغة وكتب السيرة الأخرى التي يحدد (ع) فيها مسؤولية الولاة والعمال على البلدان، وما ينبغي أن يلتزموا به في حياتها العملية، يطرح الإمام (ع) المواصفات الواجب توفرها في شخصية الحاكم المسلم سواء أكان حاكماً عاماً للأمة أو حاكماً محلياً، ونكتفي هنا بذكر بعض من هديه بهذا الصدد.

«و . . وقد علمتهم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم، والأحكام، وإمامة المسلمين: البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة»[2].

---

(١) راجع الحلقة الثانية من هذا الكتاب (الفصل الأول) لملاحظة النصوص بهذا الصدد.

(٢) نهج البلاغة رقم ١٢٩.

=

«من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[1].

«لا يقيم أمر الله سبحانه إلا من لا يصانع ولا يضارع، ولا يتبع المطامع».

وإذا شئنا الرجوع إلى أوسع نص لتحديد مواصفات الحاكم المسلم، ففي عهد الإمام (ع) إلى مالك الأشتر حين ولاه على مصر فإن فيه غنى عن طرح أي دليل آخر، حيث اشتمل العهد المذكور على كل مستلزمت القيادة الصالحة، وما ينبغي أن تنهض به من مسؤوليات في حياة الأمة على الصعيد الإجتماعي، والسياسي والإقتصادي، وسوى ذلك من شؤون.

كما حدد العهد بعمق واع كل ما يتطلبه المجتمع وما ينبغي للحاكم المسلم النهوض به عبر مسؤولياته القيادية كي يستجيب لطموحات الأمة التي يدير دفة حياتها[2].

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن عهد الإمام (ع) إلى الأشتر قد انطوى على أفكار اجتماعية غاية في الأهمية، فقد تناول الإمام (ع)

= النهمة: المبالغة في الحرص وشدة الشهوة.
الحائف: الظالم.
المقاطع: حدود الله.
الدول: المال.
والمراد بالحائف بالدول: الظالم في توزيع المال حيث يفضل قوماً على قوم في العطاء.

(1) نفس المصدر رقم ٧٣ في باب المختار من كلامه (ع).

(2) يراجع عهد الإمام (ع) إلى مالك الإشتر واليه على مصر في نهج البلاغة رقم ٥٣ في باب الكتب.

تركيبة المجتمع، والقوى المؤثرة، والقطعاعات الضرورية فيه تناول خبير ملم بها، فقد درس الإمام (ع) أهمية القطاع الزراعي وأثر التجار والقضاة والولاة والجنود في مسيرة المجتمع وبناء الحضارة، وحدد كيفية التعامل مع تلك القوى الهامة في المجتمع، وحدد مسؤوليات السلطة العليا تجاه كل واحدة من تلك القوى الفاعلة في الحياة العامة، كما ذكر القطاعات الضعفية من أهل اليتم والشيخوخة وسواهم مما يعتبر وجودهم طبيعياً في المجتمعات، فدرس حالهم وحدد العلاج لما يعانون[1].

هذا وقد سبق الإمام (ع) علم الإجتماع في دراسته للمجتمع وتحديد المؤثرات فيه بزمن طويل، مما يستحق أن يحمل بجدارة لقب مؤسس علم الإجتماع والواضع للبناته الأولى، مع اختلاف على الرؤية والمنهج.

---

(١) نفس المصدر

مصنفات الإمام (ع) وأعماله العلمية

وأمير المؤمنين (ع) أول من صنف في دنيا المسلمين، ويحصي المؤرخون لسيرة الإمام (ع) عدداً من مؤلفات الإمام وأعماله العلمية تأتي في طليعتها.

١ - جمع القرآن الكريم مرتباً حسب النزول، وبين في ذات الوقت عامة، وخاصة، ومطلقة، ومقيده ومحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه، وعزائمه ورخصه، وسننه، وآدابه[1]. كما أشار الإمام (ع) إلى أسباب النزول لآيات الكتاب العزيز، حتى لقد قال ابن سيرين: لو أصبت ذلك الكتاب لكان فيه العلم[2].

وجمع الإمام (ع) للقرآن الكريم على النمط المذكور إنما هو للتفسير أقرب منه للجمع الخالص، فقد أودع عمله ذلك علماً كثيراً، الأمة في مسيس الحاجة إلى مثله.

كما أن أمير المؤمنين (ع) قد تفرغ للعمل الرسالي الكبير، بعد حادثة السقيفة وما تمخض عنها من استخلاف أبي بكر، فعكف (ع)

---

(١) و(٢) المراجعات / السيد عبد الحسين شرف الدين مراجعة (١١٠) ص ٣٢٤.

على إنجاز المهمة التاريخية في تدوين القرآن في مصحف واحد، ولقد روى عنه بهذا الصدد قوله:

- «لما قبض رسول الله (ص) أقسمت أن لا أضع ردائي على ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن»[1].

وبمقدور المرء أن يقدر قيمة ذلك العمل إذا وضع نصب عينيه ما يحظى به القرآن الكريم من قيمة عظمى في دنيا المسلمين من الوجهة الفكرية والتشريعية والحضارية.

٢ ـ مصحف فاطمة:

ويبدو أن الإمام (ع) بادر ـ بعد إنجاز مهمة جمع القرآن إلى تأليف كتاب لفاطمة الزهراء (ع) صار يعرف عند أبنائها بمصحف فاطمة، وكان يتضمن مواعظ وحكماً وأمثالاً وعبراً وأخباراً وأفكاراً مستقبلية لتكون عوناً على التخفيف من الآلام التي اكتنفت حياة الزهراء (ع) بعد وفاة أبيها رسول الله (ص).

٣ ـ الصحيفة:

وهي كتاب في الديات «وهي الأموال المفروضة في الجناية على النفس أو الطرف أو الجرح أو نحو ذلك وتثبت الدية في موارد الخطأ المحض أو الشبيه بالعمد أو فيما لا يكون القصاص فيه أو لا يمكن..»[2].

وقد روى البخاري ومسلم من تلك الصحيفة، أوردها ابن سعد في كتابه الجامع، كما أكثر ابن حنبل الرواية عن هذه الصحيفة.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ «في المسابقة بالعلم» ج ٢ ص ٤١.

(٢) مباني تكملة المنهاج ج ٢ كتاب الديات / السيد أبو القاسم الخوئي.

٤ ـ الجامعة:

وهي في كتاب صحائف من الجلود، أملاه رسول الله (ص) على أمير المؤمنين (ع) وقد تضمن كل ما يحتاج إليه الناس من حلال وحرام، وقد جاء الكتاب مفصلاً لما جاء في كتاب الله من أحكام وأوامر ونواه.

وقد ورث الأئمة من أهل البيت (ع) هذا الكتاب كابراً عن كابر، وكانوا يطلقون عليه تارة إسم الجامعة، وتارة الصحيفة، وأخرى كتاب علي، ورابعة الصحيفة العتيقة.

ووردت عن الصادقين (ع) عدة روايات تؤكد أهمية كتاب الجامعة، وكونه مرجعهم في أخذ التشريع الإلهي، وأنهم لا يحتاجون إلى الناس لوجود ذلك الكتاب، فعن أبي عبد الله الصادق (ع) قال: «أن عندنا ما لا نحتاج معه إلى الناس، وإن الناس ليحتاجون إلينا، وأن عندنا كتاباً أملاه رسول الله (ص) وخطه علي (ع) صحيفة فيها كل حلال وحرام»[١].

ويقول الإمام الصادق (ع) أيضاً يصف فيه الجامعة «تلك صحيفة طولها سبعون ذراعاً في عرض الأديم مثل فخذ الفالج، فيها كل ما يحتاج الناس إليه، وليس من قضية إلا وهي فيها حتى أرض الخدش»[٢].

٥ ـ صحيفة الفرائض:

ويبدو أن هذه الصحيفة قد دون فيها الإمام (ع) قضاءه في المواريث أو غيرها من أبواب القضاء، ومن المرجح أن تكون هذه الصحيفة بعضاً من الجامعة[٣]

---

(١) أصول الكافي ج ١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة (ع).

(٢) الأديم: الجلد.
الفالج: الجمل العظيم ذو السنامين.
والأرش: دية الجراحات.

(٣) عقيدة الشيعة في الإمام الصادق / السيد حسن يوسف مكي العاملي ص ٦٥.

٦ ـ كتاب الجفر:

«وهو لغة جلد الماعز أو البعير أو الثور»:

وقد أطلق إسم الجفر على أحد أبواب العلم الذي دونه الإمام أمير المؤمنين (ع) من أملاء رسول الله (ص) على جلد، ويبدو أن كتاب الجفر غير الجامعة من ناحية الفكر الذي يتضمنه، فالجفر كما تفيد روايات الأئمة من أهل البيت (ع) ينطوي على حوادث المستقبل، وصحف الأنبياء السابقين والكتب المنزلة قبل القرآن الكريم[1].

وللإمام علي (ع) تصانيف أخرى وذكرها المؤرخون ككتاب زكاة النعم، وكتاب في أبواب الفقه، وكتاب في علوم القرآن وغيرها[2].

* * *

المصنفات في تراث الامام الفكري:

وبالرغم من أن الإمام (ع) قد دون عدداً من المؤلفات العظيمة فأنه يبدو أن مؤلفاته قد انصبت على ما قضت به الضرورة من حفظ الرسالة الإلهية وتوضيح معالمها للأجيال من خلال شرح القرآن الكريم، وتبيان بعض مقاصده، أو تحديد بعض أبواب الفقه الإسلامي، أما آراؤه وأفكاره الأخرى التي تحتل مركز الريادة في الفكر الإسلامي، والتي جاءت انعكاساً للرسالة الإلهية على صفحة ذهنه وعقله، فكانت خطباً ومناقشات وحكماً ومواعظ وتوجيهات ونحوها من أدوات التعبير عن ماهية الرسالة، فإن الإمام (ع) لم يتصد لجمعها في تصانيف محددة ومن المؤكد أن يكون جزء كبير منها قد اندرس بيد أن بعضاً من آرائه وأفكاره قد حظي بالتدوين

---

(١) يراجع أصول الكافي ج ١ باب ذكر الصحيفة والجفر والجامعة ومصحف فاطمة (ع) وعقيدة الشيعة في الإمام الصادق ص ٦٦.

(٢) أعيان الشيعة ج ٣ ق ٢ باب «مؤلفات أمير المؤمنين (ع)».

بعد زمن طويل من وفاة الإمام (ع) ومن المرجح أن يمثل ذلك البعض نسبة جد قليلة من عطائه الفكري العظيم عبر عمره الشريف.

فقد جمع العلماء بعض ما خلفه الإمام (ع) من مباديء ومفاهيم في مؤلفات عديدة نذكر منها:

١ ـ نهج البلاغة، جمعه الشريف أبو الحسن الرضي ابن الحسين الموسوي، المتوفي سنة ٤٠٤ هـ ويشتمل الكتاب على ما اختاره الشريف من خطب الإمام (ع) وكتبه ورسائله وحكمه ومواعظه، وقد اهتم بالكتاب المذكور جل العلماء والمفكرين ورجال الأدب قراءة واستيعاباً وشرحاً، حتى بلغت شروحه خمسين شرحاً ومن أشهر الشراح للنهج: أبو الحسن البيهقي، والإمام فخر الدين الرازي، والقطب الراوندي، ومحمد ميثم البحراني، وعز الدين بن أبي الحديد المدائني، وغيرهم.

ولقد انطوى نهج البلاغة على روائع في الفكر بشتى شعبه ومناحيه:

في العقائد والأخلاق ونظام الحكم وطبيعة المجتمع وعلاقة الإنسان بالله تعاليه ونحو ذلك من أبواب.

وهو إلى جانب ذلك جاء آية في الأدب الإنساني الرفيع الذي عز نظيره في أدب اللغة العربية دقة وعمقاً وتصويراً.

٢ ـ مسنده الذي جمعه أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفي سنة ٣٠٣ هـ وأسماه مسند علي، وقد ضمنه بعض ما أثر عن الإمام (ع) من أحاديث وروايات عن رسول الله (ص).

٣ ـ غرر الحكم ودرر الكلم، جمعه عبد الواحد بن محمد الآمدي، وهو يشتمل على طائفة من حكم الإمام (ع) القصيرة ويقارب في حجمه نهج البلاغة.

٤ ـ مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب جمعه أبو

إسحاق الوطواط الأنصاري ويحتوي على طائفة من حكم الإمام (ع).

٥ ـ مائة كلمة جمعها الجاحظ.

٦ ـ نثر اللاليء جمع أبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن.

٧ ـ ما اشتمل عليه كتاب صفين لنصر بن مزاحم من خطب الإمام (ع) وكتبه.

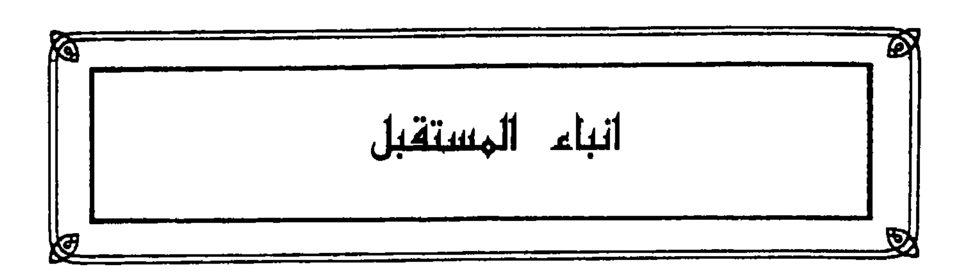
٨ ـ جنة الأسماء. شرحه الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ.

٩ ـ ماأثر عنه من الأدعية والمناجاة قد طبع بعضه باسم الصحيفة العلوية. جمعها عبد الله بن صالح السماهيجي.

١٠ ـ قلائد الحكم وفرائد الكلم جمع القاضي أبي يوسف الإسفراييني، وغير ذلك من التصانيف[١].

---

(١) راجع أعيان الشيعة ق ٢ ج ٣ ص ٢٧٤ ط ٣ ـ بيروت للسيد محسن الأمين.



انباء المستقبل

والمقصود بها هنا ما تحدث به الإمام (ع) عن أمور مستقبلية وشيكة الوقوع بعد عصره، منها ما يختص بأفراد معينين، ومنها ما يتعلق بمسيرة الأمة المسلمة كمجموع.

وبطبيعة الحال إن ما طرحه الإمام (ع) من هذا القبيل كان قد تلقاه من رسول الله (ص) مباشرة، أو وعاه بنفسه بما أعطاه الله من طاقة روحية هائلة تمنحه القدرة على استقراء المستقبل والإستشراف على حوادثه وقواه المؤثرة، والجوانب الإيجابية فيه والسلبية.

ولقد رأينا في بداية هذا الفصل كيف أن الإمام (ع) يعلن على المنبر مراراً عن قدرته على كشف الكثير من أحداث المستقبل: «.. لا تسألوني عن شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة إلا نبأتكم بناعقها وقائدها، وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها، ومن يقتل من أهلها قتلاً ويموت موتاً..»[1].

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٦ / والبحار ج ٤٠ ص ١٣٠ عن المنهج.

وإذا تتبعنا الفكر المستقبلي الذي حفظته لنا سيرة أمير المؤمنين (ع) وجدناه ـ بالرغم من قلته بالقياس إلى غيره من أبواب فكر الإمام (ع) ـ آية على عظمة الإمام (ع) وسمو كيانه الروحي الذي أهله لمعرفة الكثير من أسرار المستقبل بما فيها من متغيرات في دنيا الأفراد والجماعات.

وهذه جملة مما حفظ لنا المؤرخون في هذا المضمار:

١ ـ عن سويد بن غفلة أن علياً (ع) خطب ذات يوم، فقام رجل من تحت منبره، فقال:

ـ يا أمير المؤمنين، إني مررت بوادي القرى، فوجدت خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له، فقال (ع):

ـ والله ما مات، ولا يموت حتى يقود جيش ضلالة صاحب لوائه حبيب بن حمار.

فقام رجل آخر من تحت المنبر فقال:

ـ يا أمير المؤمنين أنا حبيب بن حمار وإني لك شيعة ومحب، فقال: أنت حبيب بن حمار؟ قال: نعم.

فقال له ثانية: والله إنك لحبيب بن حمار؟

فقال: أي والله!

فقال (ع): أما والله إنك لحاملها ولتحملنها، ولتدخلن بها من هذا الباب، «وأشار إلى باب الفيل بمسجد الكوفة» قال ثابت الشمالي ـ الذي روى الحديث عن سويد بن غفلة.

ـ فوالله ما مت حتى رأيت ابن زياد، وقد بعث عمر بن سعد إلى (حرب) الحسين بن علي (عليه السلام) وجعل خالد بن عرفطة على

مقدمته، وحبيب بن حمار صاحب رايته فدخل بها من باب الفيل[1].

٢ ـ عن إسماعيل بن رجاء قال:

قام أعشى باهلة ـ وهو غلام يومئذ حدث ـ إلى علي عليه السلام وهو يخطب ويذكر الملاحم، فقال:

يا أمير المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة!

فقال علي (ع): إن كنت آثماً فيما قلت يا غلام، فرماك الله بغلام ثقيف، ثم سكت، فقام رجال، فقالوا:

ـ ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين؟ قال:

ـ غلام يملك بلدتكم هذه لا يترك لله حرمة إلا انتهكها، يضرب عنق هذا الغلام بسيفه، فقالوا:

ـ كم يملك يا أمير المؤمنين؟ قال:

ـ عشرين إن بلغها، قالوا:

ـ فيقتل قتلاً أم يموت موتاً؟ قال:

ـ بل يموت حتف أنفه بداء البطن، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه.

قال إسماعيل بن رجاء ـ راوي الحديث ـ فوالله ـ لقد رأيت بعيني أعشى باهلة، أحضر في جملة الأسرى الذين أسروا من جيش عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بين يدي الحجاج (بن يوسف الثقفي) فقرعه، ووبخه واستنشده شعره الذي يحرض فيه عبد الرحمن على

---

(١) شرح ابن أبي الحديد لنهج البلاغة ج ٢ ص ٢٨٧.

الحرب، ثم ضرب عنقه في ذلك المجلس[1].

٣ ـ عن شمير بن سدير الأزدي قال:

قال علي (ع) لعمرو بن الحمق الخزاعي.

«يا عمرو إنك لمقتول بعدي وأن رأسك لمنقول وهو أول رأس ينقل في الإسلام، والويل لقاتلك! أما إنك لا تنزل بقوم إلا أسلموك برمتك.

قال الأزدي ـ راوي الحديث ـ فوالله ما مضت الأيام حتى تنقل عمرو بن الحمق الخزاعي في خلافة معاوية في بعض أحياء العرب خائفاً مذعوراً، حتى نزل في قومه من بني خزاعة، فأسلموه، فقتل، وحمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام، وهو أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد[2].

٤ ـ أخبار الإمام (ع) عن الضربة التي يضرب في رأسه فتخضب منها لحيته بسيف ابن ملجم المرادي.

٥ ـ أخباره بامتلاك معاوية لأمر المسلمين بعده.

٦ ـ أخباره عن قتل الإمام الحسين (ع) في كربلاء.

٧ ـ أخبازه عن الحجاج بن يوسف الثقفي وما يكون من فعله.

٨ ـ أخباره عن حركة عبد الله بن الزبير وفشله وقتله.

٩ ـ وعن هلاك البصرة بالغرق مرة وبسيطرة الزنج عليها أخرى.

١٠ ـ وأخباره عن مقتل محمد صاحب النفس الزكية وأخيه إبراهيم

---

(١) نفس المصدر ص ٢٨٩.
أعشى باهلة: عامر بن الحارث.

(٢) نفس المصدر ص ٢٩٠.

بعد ثورتهم على العباسيين في عهد أبي جعفر المنصور.

١١ ـ وعن قيام الدولة العلوية في المغرب، ودولة بني بويه في العراق.

١٢ ـ أخباره عبد الله بن العباس عن انتقال الحكم إلى أولاده وقيام الحكم العباسي.

١٣ ـ وعن خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه وقيام دولة الإسلام المباركة[١].

ومن نافلة القول أن نشير إلى أن نهج البلاغة ينطوي على الكثير من النصوص التي تناول الإمام (ع) فيها الحديث عن أمور مستقبلية، وقعت بعد عصره، وأخرى نعيش طرفاً منها[٢].

---

(١) دراسات في نهج البلاغة ـ محمد مهدي شمس الدين ط ٢. ١٩٧٢ ص ١٨٦ وما بعدها. وللإستزادة يراجع فصل المغيبات من نفس الكتاب ج ٢ ص ٢٨٦ وما بعدها من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ط ١ سنة ١٩٥٩.

(٢) مثل خطب الملاحم رقم ١٠١، ١٢٨، ١٣٨، ١٥٠، ١٥٨، ١٨٧ والخطب التي تتحدث عن آخر الزمان مثل ١٠٨، ١٠٣، ١٦٦.
الملاحم: الوقائع الغظيمة.



طرف من مواعظ الامام

وللإمام باع طويل في طرح المواعظ البليغة التي تحمل الحجج البالغة، فتهز السامع والقاريء، وتترك أثراً عظيماً في النفس.

والموعظة عند علي (ع) تحمل مفاهيم وعطاء ثراً، تحدد للمسلم طريقة إلى الله وأساليب تفاعله مع رسالة الله تعالى ومع الناس من حوله.

وفضلاً عما حمله نهج البلاغة من مواعظ لأمير المؤمنين (ع) فإن كتب الوعظ والإرشاد والتوجيه الإسلامي لا يكاد يخلو منها كتاب من ذكر بعض من مواعظ الإمام (ع).

ونذكر هنا طرفاً من مواعظه التي ضمنها نهج البلاغة:

«أيها الناس لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة أهله، فإن الناس قد اجتمعوا على مائدة شبعها قصير، وجوعها طويل.

أيها الناس: إنما يجمع الناس الرضى والسخط، وإنما عقر ناقة ثمود رجل واحد، فعمهم الله بالعذاب لما عموه بالرضى، فقال سبحانه: «فعقروها، فأصبحوا نادمين» فما كان إلا أن خارت أرضهم بالخسفة خوار السكة المحماة في الأرض الخوارة.

أيها الناس، من سلك الطريق الواضح ورد الماء، ومن خالف وقع في التيه»[1].

ـ «أيها الناس، إنما الدنيا دار مجاز، والآخرة دار قرار، فخذوا من ممركم لمقركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم، ولغيرها خلقتم. إن المرء إذا هلك قال الناس: ما ترك؟ وقالت الملائكة: ما قدم؟ لله آباؤكم: فقدموا بعضاً يكن لكم قرضاً، ولا تخلفوا كلاً فيكون فرضاً عليكم»[2].

ـ «أوصيكم عباد الله بتقوى الله، التي هي الزاد وبها المعاد: زاد مبلغ، ومعاد منجح، دعا إليها أسمع داع، ووعاها خير واع، فأسمع داعيها، وفاز واعيها.

عباد الله إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه وألزمت قلوبهم مخافته، حتى أسهرت لياليهم، وأظمأت هواجرهم فأخذوا الراحة بالنصب، والري بالظمأ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل، وكذبوا

---

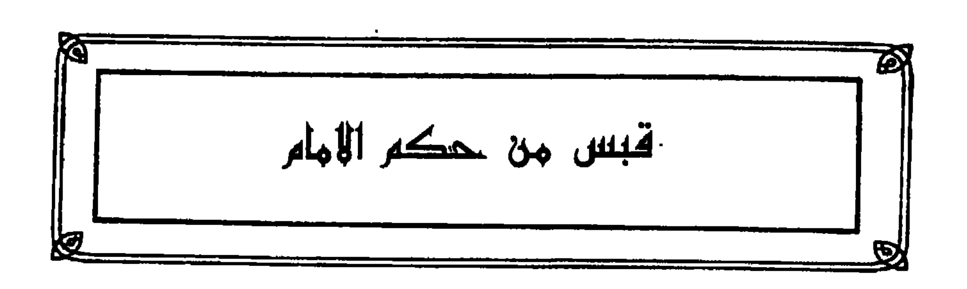
(١) رقم النص ٢٠١ (باب الخطب).
السخط: الغضب.
ثمود: قوم نبي الله صالح (ع).
خارت: من الخوار صوت الثور، أي حين خسف الله أرضهم كان لها صوت كصوت الثور.
السكة المحماة: حديدة المحرات.
الأرض الخوارة: اللينة الهشة.
(٢) نفس المصدر رقم ٢٠٣.
مجاز: ممر إلى الآخرة.

الأمل، فلاحظوا الأجل..»[1].

---

(1) نفس المصدر ص ١١٤.
وعاها: فهمها وحفظها.
حمت: منعت، يعني التقوى منعت الأولياء من ارتكاب الجرائم.
الهواجر: الأيام الشديدة الحر ومع شدة حرارتها فقد أظمأ المتقون أنفسهم فيها صوماً.
النصب: التعب.





ونختم هـذا الفصل بـإيراد إضمـامة من حكم أميـر المؤمنين (ع) إتماماً للفائدة:

١ ـ إذا أقبلت الدنيا على أحـد أعارتـه محاسن غيـره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

٢ ـ أعجز الناس من عجز عن اكتساب الإخوان، وأعجز منـه من ضيع من ظفر به منهم.

٣ ـ من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه.

٤ ـ مـا أضمر أحـد شيئاً إلا وظهـر في فلتات لسـانـه وصفحـات وجهه.

٥ ـ فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها.

٦ ـ قيمة كل امرىء ما يحسنه.

٧ ـ قـال عليه السـلام يصف الغوغـاء: «هم الـذين إذا اجتمعـوا غلبوا وإذا تفرقوا لم يعرفوا».

٨ ـ عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذى كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار.

٩ ـ أربع لو ضربتم فيهن أكباد الإبل، لكان ذلك يسيراً: لا يرجون أحد إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحي أن يقول لا أعلم إذا هو لم يعلم، ولا يستكبر أن يتعلم إذا لم يعلم.

١٠ ـ اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم.

١١ ـ الثناء بأكثر من الإستحقاق ملق[١]. والتقصير عن الإستحقاق في أحسد.

١٢ ـ عند تناهي الشدة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء.

١٣ ـ من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

١٤ ـ الفقيه كل الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤيسهم من روح الله[٢]. ولم يؤمنهم من مكر الله.

١٥ ـ رب عالم قد قتله جهله، وعلمه معه لا ينفعه.

١٦ ـ عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينيك.

١٧ ـ لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث:

---

(١) ملق: التملق.
العي: العجز.

(٢) روح الله: لطفه ورأفته.
مكر الله: أخذه للعبد بالعقاب دون شعوره.

نكبته، وغيبته، ووفاته.

١٨ ـ الناس ثلاثة: فعالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق، يميلون مع كل ريح لم يستضيؤوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

١٩ ـ الناس أعداء ما جهلوا.

٢٠ ـ من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها[١].

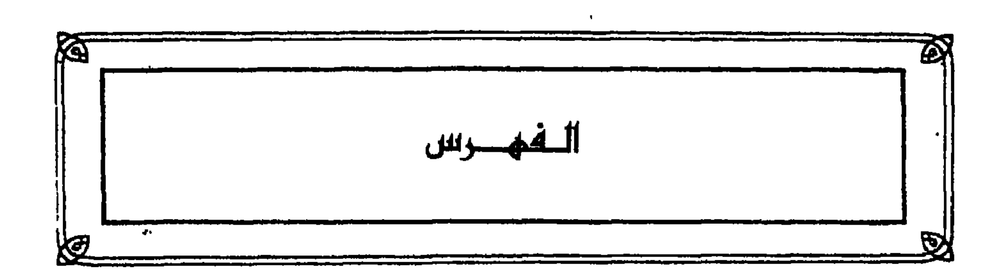
وهكذا نصل إلى نهاية المطاف في حديثنا عن المقومات العامة لشخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفقنا الله تعالى للأخذ بنهجه في الفكر والعمل أنه سميع مجيب والحمد لله رب العالمين.

(تمّ الكتاب بعونه تعالى)

---

(١) للمزيد راجع باب المختار من حكم الإمام (ع) في نهج البلاغة، وتحف العقول لابن شعبة الحراني وج ١٩ وج ٢٠ من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وغيرها.


الفهرس

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة



